

مُحَمَّدُ الْمُنَافِغُوطُ



الإعلاء للشعر العربي

- حزن في ضوء القمر
- غرفة بملايين الجدران
- الفرحة ليس مهنتي

الأعمال الشعرية

حزن في ضوء القمر
غرفة بملايين الجدران
الفرح ليس مهنتي



الأعمال الشعرية

Author : Muhammed Al-Maghout
Title : The Poetics Works
Sadness under the Moon Light
Room with Millions Walls
The Joyful is not my Career
Al- Mada P.C.
First Edition : 1998
Second Edition: 2006
Copyrights © Al- Mada

اسم المؤلف : محمد الماغوط
عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية
حزن في ضوء القمر
غرفة بملايين الجدران
الفرح ليس مهتي
النباشــــــــــــر : المدى
الطبعة الأولى : ١٩٩٨
الطبعة الثانية : ٢٠٠٦
الحقوق محفوظة

دار الثقافة والنشر

سورية - دمشق ص.ب. : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦ - تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ - فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان - بيروت- الحمراء- شارع نيون -بناية منصور- الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧

E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٢- بناء ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣

almadapaper.com

almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

الأعمال الشعرية

حزن في ضوء القمر-غرفة بملايين الجدران-الفرح ليس مهنتي



حُزْنٌ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ

طفولة بريئة وارهاب مسد

مأساة محمد الماغوط أنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط . ومنذ مجموعته الأولى «حزن في ضوء القمر» وهو يحاول إيجاد بعض الكوى أو توسيع ما بين قضبان النوافذ ليرى العالم ويتنسم بعض الحرية . وذروة هذه المأساة هي في إصراره على تغيير هذا الواقع ، وحيداً ، لا يملك من أسلحة التغيير إلا الشعر . فيقدر ما تكون الكلمة في الحلم طريقاً إلى الحرية تجدها في الواقع طريقاً إلى السجن . ولأنها كانت دائماً إحدى أبرز ضحايا الاضطرابات السياسية في الوطن العربي ، فقد كان هذا الشاعر يرتعد هلعاً إثر كل انقلاب مرّ على الوطن ، وفي أحدها خرجت أبحت عنه ، كان في ضائقة قد تجره إلى السجن أو ما هو أمر منه ، وساعدني إنتقاله إلى غرفة جديدة في إخفائه عن الأنظار ، غرفة صغيرة ذات سقف واطئ حشرت حشراً في خاصرة أحد المباني بحيث كان على من يعبر عتبها أن ينحني وكأنه يعبر بوابة ذلك الزمن .

سرير قديم ، ملاءات صفراء ، كنية زرقاء طويلة سرعان ما هبط مقعدها ، ستارة حمراء من مخلفات مسرح قديم . في هذا المناخ عاش محمد الماغوط أشهراً عديدة .

لنفترض أن الشرق العربي بقعة سوداء على خريطة الماضي والحاضر ، فما يكون لون المستقبل ؟ ولنبحث بعد ذلك عن مصير الشعر والشعراء من خلال ذلك الظلام الدامس . وإذا ما استعملنا ضوء الذاكرة وجدنا أن محمد الماغوط في وجهه من الوجوه جزء من المستقبل ، لذا كان لا بد من حمايته من

غياب الحاضر . ألا يكون مستقبل شعرنا رماداً لو تركنا الشعراء للسلطة ؟ ولأن هذا الشاعر محترق بنيران الماضي والحاضر ، لجأ إلى نيران المستقبل وهو جزء منها بحثاً عن وجود آخر وكتبونة جديدة . بدت الأيام الأولى كاللعبة البطولية لنا نحن الاثنين . ولكن لما شحب لونه ومال إلى الاصفرار المرضي وبدأ مزاجه يحتد بدت لي خطورة اللعبة . كان همي الكبير أن يتلاشى الأعصار دون أن يخنق غباره « النسر » .

كنت أنقل له الطعام والصحف والزهور خفية . كنا نعتز باتماننا للحب والشعر كعالم بديل متعال على ما يحيط بنا . كان يقرأ مدفوعاً برغبة جنونية . وكنت أركض في البرد القارس والشمس المحرقة لأشبع له هذه الرغبة ، فلا ألبث أن أرى أكثر الكتب أهمية وأغلاها ثمناً ممزقة أو مبعثرة فوق الأرض مبقعة بالقهوة حيث ألتقطها وأغسلها ثم أرصنها على حافة النافذة حتى تجف . كان يشعل نيرانه الخاصة في روائع أدبية بينما كانت الهتافات في الخارج تأخذ من بعيد شكلاً معادياً .

وقبل ذلك كان محمد الماغوط غريباً ووحيداً في بيروت . وعندما قدمه أدونيس في أحد اجتماعات مجلة « شعر » المكتظة بالوافدين ، وقرأ له بعض نتاجه الجديد الغريب بصوت رخيم دون أن يعلن عن اسمه ، وترك المستمعين يتخبطون (بودلير ؟ . . رامبو ؟ . .) لكن أدونيس لم يلبث أن أشار إلى شاب مجهول ، غير أنيق ، أشعث الشعر وقال : « هو الشاعر . . » لاشك أن تلك المفاجأة قد أدهشتهم وانقلب فضولهم إلى تلمات خفيفة . أما هو ، وكنت أراقبه بصمت ، فقد ارتبك واشتد لمعان عينيه . بلغة هذه التفاصيل وفي هذا الضوء الشخصي نقرأ غربة محمد الماغوط . ومع الأيام لم يخرج من عزله بل غير موقعها من عزلة الغريب الى عزلة الرفض .

من يدرس حياة هذا الشاعر يرى أن فترات الخصب عنده تتواءمت مع الأزمات . « فالعصفور الأحذب » وأعمال أخرى مازالت مخبأة في الأدراج ، وقسماً كبيراً من « الفرع ليس مهنتي » جاءت نتيجة انفجار بشري داخلي عنيف حدث في أواخر ذلك الشتاء . في هذه الحميا أخذ يرى علائق الأشياء

بعضها بالبعض الآخر . وإن هذه الارتباطات قد تنقلب الى علائق خطيرة فيما إذا تضخمت من طرف واحد تاركة الطرف الآخر يرتجف دون حول أو قوة . ومحمد الماغوط يبحث عن الحماية منذ صغره . لكن كلما التجأ الى ركن رآه خائناً كالسجن أو واهياً كالورق . أراد أن يدخل كون الشعر حيث لا سلطة إلا للمتفوقين . والبيئة المضطربة المتقلبة التي عاش في مناخها ، كانت تقف كالسوط في وجهه لترده باستمرار الى الداخل فيعتصم بمخيلته . في تلك المؤامرة الكبيرة التي حاكتها البيئة ضده عظمت براءته وقوي صفاؤه . وقد أعطته تلك الإقامة السرية فرصة كبيرة للتأمل الذهني . وتحت تلك العدسات كان الوجود الانساني يدخل سلسلة من التحولات . سكب أحماضه المأساوية على الفوضى البشرية ، فبدأ الوجود الواحد يحمل في أعماقه وجودات لا حصر لها . وهذا ما دفعه لأن يطرق ألواناً أخرى غير الشعر .

في الشعر يمتطي حلمه ويغيب . ليس بمعنى التخلي الشعوري عن واقعه ، وإنما بمعنى الطموح الملح لخلق وجود بديل عنه . وجود آخر يهيم معه في سفره . غرفة الشعر غرفة لينة ، واسعة ، فضفاضة . تنتقل كلما أشار إليها الشاعر . أما الآن فلا مفر له وهو داخل تلك الجدران المتسخة من مواجهة الواقع . لذا انعكست أوضاعه على أبطال « العصفور الأحذب » سجنهم ، خلقهم مشوهين وبأمزجة حادة ، متقلبة وشائكة . المسافة في المسرحية لا تنقلهم نحو أحلامهم أو نحو الأفضل وإنما تحاصرهم . وعندما امتلكوا الحرية تغيرت مرتفعاتهم الانسانية . دخلوا في علائق جديدة . شكلوا مرة أخرى لعبة الحاكم والمحكوم التي ما استطاعوا أن يذهبوا خارج حدودها بالرغم من الحريات التي امتلكوها فيما بعد . في « العصفور الأحذب » لم يلتق محمد الماغوط بجمهوره بمعنى المواجهة . التقى به في حالة الجذب والقيادة . ولأن الزمن بينه وبين الآخرين كان شاسعاً أنكرت كعمل مسرحي وسميت قصيدة . في الحقيقة كان في « العصفور الأحذب » قائداً يسير خلفه جيش مهترئ ، منكوب أرمد . لذا ارتد القائد في « المهرج » وفضح تلك المخازي .

يعتبر محمد الماغوط من أبرز الشوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل . دخل ساحة العراق حاملاً في مخيلته ودفائره الأنيفة بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث . كانت الرياح تهب حارة في ساحة الصراع ، والصحف غارقة بدموع الباكين على مصير الشعر حين نشر قلوبه البيضاء الحفاقة فوق أعلى الصواري . وقد لعبت بدائيته دوراً هاماً في خلق هذا النوع من الشعر ، إذ ان موهبته التي لعبت دورها بأصالة وحرية كانت في منجاة من حضنة التراث وزجره التربوي . وهكذا نجت عفويته من التحجر والجمود . وكان ذلك فضيلة من الفضائل النادرة في هذا العصر .

سنية صالح

حزن في ضوء القمر

أيها الربيعُ المقبلُ من عينيها
أيها الكناري المسافرُ في ضوء القمر
خذني إليها
قصيدة غرام أو طعنة خنجر
فأنا متشرد وجريح
أحبُّ المطر وأنين الأمواج البعيدة
من أعماق النوم أستيقظ
لأفكر بركبة امرأة شهية رأيتها ذات يوم
لأعاقِرَ الخمرة وأقرضَ الشعر
قل لحبيبتي ليلي
ذاتِ الفم السكران والقدمين الحريريتين
انتي مريضٌ ومشتاقٌ إليها
انتي ألمح آثار أقدام على قلبي .
دمشقُ يا عربةَ السبايا الوردية
وأنا راقدٌ في غرفتي
أكتبُ وأحلم وأرنو إلى الماره
من قلب السماء العاليه

أسمع وجيب لحمك العاري .
عشرون عاماً ونحن ندق أبوابك الصلده
والمطر يتساقط على ثيابنا وأطفالنا
وووجوهنا المختنقة بالسعال الجارح
تبدو حزينّة كالوداع صفراء كالسلّ
ورياح البراري الموحشه
تنقل نواحنا
إلى الأزقة وباعة الخبز والجواسيس
ونحن نعدو كالخيول الوحشية على صفحات التاريخ
نبكي ونرتجف
وخلف أقدامنا المعقوفة
تمضي الرياح والسنابل البرتقاليه . . .
واقترقنا
وفي عينيك الباردتين
تنوح عاصفة من النجوم المهروله
أيتها العشيقة المتفضّنة
ذات الجسد المغطى بالسعال والجواهر
أنت لي
هذا الحنين لك يا حقوده !

قبل الرحيل بلحظات
ضاجعت امرأة وكتبت قصيده
عن الليل والخريف والأم المقهوره

وتحت شمس الظهيرة الصفراء
كنت أسندُ رأسي على ضلُقات النوافذ
وأترك الدمعه
تبرق كالصباح كامرأة عاريه
فأنا على علاقة قديمة بالحزن والعبوديه
وقرب الغيوم الصامته البعيده
كانت تلوح لي مئآت الصدور العاريه القدره
تندفع في نهر من الشوك
وسحابة من العيون الزرق الحزينه
تحدقُ بي
بالتاريخ الرابض على شفتي .
يا نظرات الحزن الطويله
يا بقع الدم الصغيره أفيقي
إنني أراك هنا
على البيارق المنكَّسه
وفي ثنيات الثياب الحريره
وأنا أسير كالرعد الأشقر في الزحام تحت سمانك الصافيه
أمضي باكياً يا وطني
أين السفنُ المعبأة بالتبع والسيوف
والجارية التي فتحت مملكة بعينيهما النجلاوين
كامرأتين دافتتين
كليلة طويلة على صدر أنثى أنت يا وطني

إنني هنا شبحٌ غريبٌ مجهول
تحت أظافري العطرية
يقبعُ مجدك الطاعن في السن
في عيون الأطفال
تسري دقاتُ قلبك الخائر
لن تلتقي عيوننا بعد الآن
لقد أنشدتُك ما فيه الكفاية
سأطل عليك كالقرفلة الحمراء البعيدة
كالسحابة التي لا وطن لها

وداعاً أيتها الصفحات أيها الليل
أيتها الشبابيك الأرجوانية
انصبوا مشنقتي عاليةً عند الغروب
عندما يكون قلبي هادئاً كالحمامة . .
جميلاً كوردة زرقاء على راييه ،
أودُ أن أموت ملطخاً
وعيناي مليئتان بالدموع
لترتفعَ إلى الأعناق ولو مرة في العمر
فانني مليء بالحروف ، والعناوين الدامية
في طفولتي ،
كنت أحلم بجلبابٍ مخططٍ بالذهب
وجواد ينهب بي الكروم والتلال الحجرية
أما الآن

وأنا أتسكّع تحت نور المصابيح
أنتقل كالعواهر من شارع إلى شارع
أشتهي جريمةً واسعة
وسفينةً بيضاء ، تقلّني بين نهديها المالحين ،
إلى بلادٍ بعيدة ،
حيث في كلّ خطوة حانةٌ وشجرةٌ خضراء ،
وفتاةٌ خلاسيه ،
تسهرُ وحيدة مع نهديها العطشان .

جنازة النسر

أظنُّها من الوطن
هذه السحابة المقلبة كعينين مسيحيتين ،
أظنُّها من دمشق
هذه الطفلة المقرونة الحواجب
هذه العيون الأكثر صفاء
من نيران زرقاء بين السفن .
أيها الحزن . . يا سيفي الطويل المجتهد
الرصيف الحامل طفله الأشقر
يسأل عن وردة أو أسير ،
عن سفينة وغيمة من الوطن . . .
والكلمات الحرة تكتسحني كالطاعون
لا امرأة لي ولا عقيدة
لا مقهى ولا شتاء
ضمني بقوة يا لبنان
أحبك أكثر من التبغ والحدائق
أكثر من جندي عاري الفخذين
يشعل لفاقة بين الأنقاض

ان ملايين السنين الدمويه
تقف ذليلةً أمام الحانات
كحيوشٍ حزينَةٍ تجلس القرفصاء
ثمانية شهور
وأنا ألمس تجاعيد الأرض والليل
أسمع رنينَ المركبه الذليله
والثلج يتراكم على معظفي وحواجبي
فالترابُ حزين ، والألمُ يومضُ كالنسر
لا نجومٌ فوق التلال
التأؤبُ هو مركبتي المطهمةُ ، وترسي الصغيره
والأحلام ، كنيسي وشارعي
بها أستلقي على الملكات والجواري
وأسيرُ حزيناً في أواخر الليل .

أغنية لباب توما

حلوه عيون النساء في باب توما
حلوه حلوه
وهي ترنو حزينه الى الليل والخبز والسكرى
وجميلة تلك الأكتاف العجريه على الأسره
لتمنحني البكاء والشهوة يا أمي
ليتني حصاه منوئه على الرصيف
أو أغنيه طويله في الزقاق
هناك في تجويف من الوحل الأملس
يذكرني بالجوع والشفاه المشرده ،
حيث الأطفال الصغار
يتدققون كالملايا
أمام الله والشوارع الدامسه
ليتني وردة جوريه في حديقة ما
يقطفني شاعر كئيب في أواخر النهار
أو حانه من الخشب الأحمر
يرتاها المطر والغرباء
ومن شبابيك الملطخة بالحمرة والذباب

تخرج الضوضاء الكسولة
الى زقاقنا الذي ينتجُ الكآبةَ والعيون الخضر
حيث الأقدامُ الهزيلة
ترتُعُ دوغماً غايه في الظلام . . .
أشتهي أن أكون صفصافة خضراء قرب الكنيسه
أو صليباً من الذهب على صدر عذراء ،
تقلي السمك لحبيها العائد من المقهى
وفي عينيها الجميلتين
ترفرُ حمامتان من بتفسج
أشتهي أن أقبل طفلاً صغيراً في باب توما
ومن شفقيه الورديتين ،
تنبعثُ رائحةُ الشدي الذي أرضَعَه ،
فأنا مازلتُ وحيداً وقاسياً
أنا غريبٌ يا أمي .

في المبنى

من قديم الزمان ،
وأنا أَرْضَعُ التَّبَعِ والعار
أحبُّ الحمرَ والشتائم
والشفاء التي تَقْبِلُ ماري
ماري التي كان اسمها أُمي .
حارة كالجرب
سمراء كيوم طويل غائم
أحبُّها ، أكره لحمها المشبع بالهمجية والعطر ،
أريضٌ عند عتبها كالغلام
وفي صدري رغبةً مزمنة
تشتهي ماري كجثة زرقاء
تختلج بالحلي والذكريات .
من قديم الزمان . . أنا من الشرق . .
من تلك السهول المغطاة بالشمس والمقابر
أحب التسكع والثياب الجميله
ويدي تتلمس عنق المرأة الباردة
وبين أهدابها العمياء

المح دموعاً قديمةً تذكرني بالمطر
والعصافير الميتة في الربيع
كنت أرى قارةً من الصخر
تشهقُ بالألم والحزير
والأذرع الهانئة في الشوارع .
فأنتم يا ذوي الأحذية اللامعة
والسلاميات المحشوة بالإثم والخواتم
ماذا تعرفون عن ماري الصغيرة الحلوة
ذات الوجه الضاحك كقمرٍ من الياسمين
ماذا تعرفون عن لحمها الذي يتجشأ العطر والأصابع
حيث الشفاء المقرورة الخائفة
تنهمر عليها كالجراد
وهي ترنو إلى الطرقات الخالكة
بعد منتصف الليل
والنوافذ المفروشة بالزجاج والدم
قابعة كالخثالة في أحشاء الشرق
تأكلُ وتنام
وتموت قبلةً إثر قبله
تحلم بملاءة سوداء
ونزهة في شارع طويل
ممتلئ بالضجة والدقاتر والأطفال
وتغرّها الطافحُ بالسأم
يكدح طيلة الليل لتأكل ماري

الأفران مطفأة في آسيا
والطيور الجميلة البيضاء
ترحل دوتما عودة في البراري القاحله .

المسافر

بلا أمل . .
وبقلبي الذي يخفقُ كوردة حمراء صغيرة
سأودّع أشيائي الحزينة في ليلة ما . .
يقع الحبر
وأثار الخمرة الباردة على المشمع اللزج
وصمت الشهور الطويله
والناموس الذي يمضُ دمي
هي أشيائي الحزينة
سأرحلُ عنها بعيداً . . بعيداً
وراء المدينة الغارقة في مجاري السلّ والدخان
بعيداً عن المرأة العاهره
التي تغسل ثيابي بماء النهر
وآلاف العيون في الظلمه
تحدق في ساقها الهزيلين ،
وسعالها البارد ، يأتي ذليلاً يانسأ
عبر النافذة المحطّمة
والزقاق المتلوي كحبلٍ من جثث العبيد

سأرحلُ عنهم جميعاً بلا رافه
وفي أعماقي أحمل لك ثورة طاغية يا أبي
فيها شعبٌ يناضل بالتراب ، والحجارة والظماً
 وعدة مرايا كثيبه
تعكس ليلاً طويلاً ، وشفاهاً قارسة عمياء
تأكل الحصى والتبن والموت
منذ مدة طويلة لم أرَ نجمةً تضيء
ولا يمامةً شقراء تصدحُ في الوادي
لم أعدُ أشربُ الشاي قرب المعصره
وعصافيرُ الجبال العذراء ،
ترنو إلى حبيبتي ليلى
وتشتهي ثمرها العميق كالبحر
لم أعدُ أجلس القرفصاء في الأزقه
حيث التسكع
والغرام اليانس أمام العتبات .
فارسل لي قرميدة حمراء من سطوحنا
وخصلة شعير من أمي
التي تطبخ لك الحساء في ضوء القمر
حيث الصهيل الحزين
وأعراسُ الفجر في ليالي الحصاد
بعْ أقراط أختي الصغيره
وارسل لي نقوداً يا أبي
لأشتري محبره

وقتاة ألّهث في حضنها كالطفل
لأحدثك عن الهجير والتشاوب وأفخاذ النساء
عن المياه الراكدة كالبول وراء الجدران
والنهود التي يؤكل شهدّها في الظلام
فأنا أسهرُ كثيراً يا أبي
أنا لا أنام . .
حياتي ، سوادٌ وعبوديّةٌ وانتظار .
فاعطني طفولتي . .
وضحكاتي القديمة على شجرة الكرز
وصندلي المعلق في عريشة العنب ،
لأعطيك دموعي وحبيبتني وأشعاري
لأسافرَ يا أبي .

الشتاء الضائع

بيئنا الذي كان يقطنُ على صفحةِ النهر
ومن سقفه المتداعي
يخطرُ الأصيل والزنبقُ الأحمر
هجرته يا ليلي
وتركتُ طفولتي القصيره
تذبلُ في الطرقات الخاويه
كسحابة من الورد والغبار
غداً يتساقط الشتاء في قلبي
وتقفز المتنزهاة من الأسماك والضفائر الذهبية
وأجهشُ ببكاءٍ حزين على وسادتي
وأنا أرقبُ البهجة الحبيبه
تغادرُ أشعاري إلى الأبد
والضباب المتعفنُ على شاطئ البحر
يتمددُ في عيني كسيل من الأظافر الرمادية
حيث الرياح الآسنة
تزارُ أمام المقاهي
والأذرع الطويلة ، تلوحُ خاويةً على الجانبين

يطيبُ لي كثيراً يا حبيبة ، أن أجذبَ ثديك بعنف
أن أققد كأبتي أمام ثفرك العسلي
فأنا جارحُ يا ليلي
منذ بدءِ الخليفةِ وأنا عاطلٌ عن العمل
أدخُنُ كثيراً
وأشتهي أقربَ النساءِ إليّ
ولكم طردوني من حاراتٍ كثيرة
أنا وأشعاري وقمصاني الفاقعة اللون

غداً يحنُّ إليّ الأحموان
والمطرُ المتراكمُ بين الصخور
والصنوبرةُ التي في دارنا
ستفتقدني الغرافات المسنّه
وهي تننُّ في الصباح الباكر
حيث القطعان الذاهبةُ إلى المروج والتلال
تحنُّ إلى عينيّ الزرقاوين
فأنا رجلٌ طويلُ القامة
وفي خطواتي المفعمةِ بالبؤس والشاعريه
تكمن أجيالٌ ساقطةٌ بلهاء
مكتنزةٌ بالنعاسِ والخيبة والتوتر
فاعطوني كفايتي من النبيذ والفوضى
وحرية التصلص من شقوق الأبواب
وبنيّة جميلة

تقدم لي الورد والقهوة عند الصباح
لأركضَ كالبنفسجة الصغيرة بين السطور
لأطلقَ نداءاتِ العبيد
من حناجر الفولاذ .

رجل على الرصيف

نَصْفُهُ نَحُوم
ونصفه الآخرُ بغايا وأشجارُ عاريه
ذلك الشارِعُ المنكفئُ على نفسه كخيطٍ من الوحل
وراء كل نافذه
شاعرٌ يميكي ، وفتاةٌ ترتعش ،
قلبي يا حبيبةً ، فراشةٌ ذهبيه ،
تحومُ كثيبةً أمام نهديك الصغيرين .

كنتِ يتيمةً وذات جسدٍ فوّار
ولأهدابك الصافية ، رائحة النفسجِ البري
عندما أرنو الى عينيك الجميلتين ،
أحلم بالغروب بين الجبال ،
والزوارقِ الراحلةِ عند المساء ،
أشعرُ أن كل كلماتِ العالم ، طوعَ بناني .

فهنا على الكراسي العتيقه
ذاتِ الصريرِ الجريح ،

حيث يلتقي المطر والحب ، والعيون العسلية
كان فمك الصغير ،
يضطرب على شفتي كقطرات المطر
فترتسم الدموع في عيني
وأشعر بأنني أتصاعد كرائحة الغابات الوحشية
كهدير الأقدام الخافية في يوم قانظ .

لقد كنت لي وطناً وحانه
وحزناً طفيفاً ، يرافقتني منذ الطفولة
يوم كان شعرك الفجري
يهيم في غرفتي كسحابه . .
كالصباح الذاهب الى الحقول .
فاذهبي بعيداً يا حلقات الدخان
واخفقي يا قلبي الجريح بكثره . .
ففي حنجرتي اليوم بلبل أحمر يودُ الغناء

أيها الشارع الذي أعرفه ثدياً ثدياً ، وغيمة غيمه
يا أشجار الأكاسيا البيضاء
ليتني مطرٌ ذهبي
يتساقط على كل رصيف وقبضة سوط
أو نسيم مقبل من غابة بعيدة
لألهم عطر حبيتي المضطجعة على سريرها
كطير استوائي حنون

ليتني أستطيع التجول
في حارات أكثرَ قذارةً وضجه
أن أرتعش وحيداً فوق الغيوم .

لقد كانت الشمس
أكثر استدارةً ونعومةً في الأيام الخوالي
والسماء الزرقاء
تتسلل من النوافذ والكوى العتيقه
كشرانقٍ من الحرير
يوم كنا نأكل ونضاجعُ ونموتُ بحرية تحت النجوم
يوم كان تاريخنا
دماً وقاراتٍ مفروشه بالجثث والمصاحف .

تبغ وشوارع

شعرك الذي كان ينبض على وسادتي
كشلال من العصفير
يلهو على وسادات غريبه
يخونني يا ليلي
فلن أشتري له الأمشاط المذهبه بعد الآن
سامحيني أنا فقير يا جميله
حياتي حبر ومغلفات وليل بلا نجوم
شبابي بارد كالوحد
عتيق كالطفوله
طفولتي يا ليلي . . ألا تذكرينها
كنت مهرجاً . .
أبيع البطالة والتأوب أمام الدكاكين
ألعب الدحل
وأكل الخبز في الطريق
وكان أبي ، لا يحبني كثيراً ، يضربني على قفاي كالجارية
ويشتمني في السوق
وبين المنازل المتسلخة كأيدي الفقراء

ككل طفولتي
ضائعاً . . ضائعاً
أشتهي منضدةً وسفينة . . لأستريح
لأبعثر قلبي طعاماً على الورق

في البساتين الموحله . . كنت أنظمُ الشعر يا ليلي
وبعد الغروب
أهجر بيتي في عيون الصنوبر
يموت . . يشهق بالحبر
وأجلسُ وحيداً مع الليل والسعال الخافت داخل
الأكواخ

مع سحابة من النرجس البري
تنفص دموعها في سلال العشب المتهادية
على النهر
هدية لباعة الكستناء
والعاطلين عن العمل على جسر فكتوريا .
هذا الجسرُ لم أره منذ شهورٍ يا ليلي
ولا أنت تنتظريني كوردةٍ في الهجير
سامحيني . . أنا فقيرٌ وظمآن
أنا إنسانٌ تغ وشوارع وأسمال .

جفاف النهر

صاحبُ أنا أيها الرجلُ الحريري
أسيرُ بلا نجومٍ ولا زوارق
وحيد وذو عينين بليدتين
ولكنني حزينٌ لأن قصائدي غدت متشابهة
وذاث لحن جريح لا يتبدل
أريد أن أرفرفَ ، أن أتسامى
كأميرٍ أشقر الحاجبين
يطأ الحقول والبشرية .

وطني . . أيها الجرسُ المعلقُ في فمي
أيها البدويُّ المشعثُ الشعر
هذا الفمُ الذي يصنع الشعر واللذة
يجب أن يأكلَ يا وطني
هذه الأصابعُ النحيلة البيضاء
يجب أن ترتعش
أن تنسج حبالاً من الخبز والمطر .

لا نجومٌ أمامي
الكلمةُ الحمراء الشريدة هي مخدعي وحقولي .
كنت أودُّ أن أكتب شيئاً
عن الاستعمارِ والتسكع
عن بلادي التي تسير كالريح نحو الورا
ومن عيونها الزرق
تساقطُ الذكرياتُ والثيابُ المهلهله
ولكنني لا أستطيع
قلبي باردٌ كنسمةٍ شماليه أمام المقهى
إن شبحَ تولستوي القميء .
ينتصبُ أمامي كأنشوطه مدلاة
ذلك العجوز المطوي كورقةِ النقد
في أعماق الروسيا .
لا أستطيع الكتابة ، ودمشقُ الشبيهه
تضطجعُ في دفترتي كفخزين عاريين .

يا صحراء الأغنية التي تجمع لهيب المدن
ونواح البواخر
لقد أقبلَ والليلُ طويلاً كسفينة من الحبر
وأنا أرتطمُ في قاع المدينه
كأنني من وطنٍ آخر
وفي غرفتي الممتلئة بصور الممثلين وأعقاب السجائر
أحلمُ بالبطولة ، والدم ، وهتاف الجماهير

وأبكي بحرارة كما لم تبكي امرأة من قبل
فاهبط يا قلبي
على سطح سفينة تتأهب للرحيل
إن يدي تتلمس قبضة الخنجر
وعيناي تحلقان كطائر جميل فوق البحر .

الغرباء

قبورنا معتمّة على الرابيه
والليل يتساقطُ في الوادي
يسيرُ بين الثلوج والخنادق
وأبي يعود قتيلاً على جواده الذهبي
ومن صدره الهزيل
ينتفض سعالُ الغابات
وحفيفُ العجلات المحطّمة
والأنثى التائه بين الصخور
ينشدُ أغنيةً جديدةً للرجل الضائع
للأطفال الشقر والقطيع الميت على الضفة الحجرية .

أيتها الجبال المكسوة بالثلوج والحجاره
أيها النهرُ الذي يرافق أبي في غربته
دعوني أنطفئُ كشمعةٍ أمام الريح
أتألم كالماء حول السفينه
فالألم يبسط جناحه الخائن
والموتُ المعلقُ في خاصرة الجواد

يلج صدري كنظرة الفتاة المراهقة
كأنين الهواء القارس .

الخطوات النهيية

- قابلةٌ للموتِ تلك الجباه السَّكْريه
قابلة لأن تنشد وتبتسم
تلك الشفاء الأكرم ليونة من العنبِ الخمري .
من رغبة التبيذ المتأجج على خاصرة عذراء
قصَّتها تبدأ الليله
أو صباح غد
حيث الغيوم الشتائيه الحزينه
تحمل لي رائحة أهبي وسريري
والسهرات المضيئه بين أشجار الصنوبر .

آه كم أود أن أكون عبداً حقيقياً
بلا حبٍّ ولا مال ولا وطن
لي ضفيره في مؤخرة الرأس
وأقراطاً لامعه في أذني
أعدو وراء القوافل
وأسرج الجياد في الليالي الممطره
وعلى جلدي الأسود العاري

يقطرُ دهنُ الاوز الأحمر
وتتشني ركب الجواري الصغيرات
إنني أسمعُ نواحَ أشجارٍ بعيدة
أرى جيوشاً صفراء
تجري فوق ضلوعي .

يقولون ، إن شعركَ ذهبيٌ ولامعٌ أيها الحزن
وكتفك قويان ، كالأرصفتِ المستديرة
لَقْنِي يا حبيبي
لَقْنِي أيها الفارسُ الوثني الهزيل
إنني أكثرُ حركة
من زهرة الخوخِ العاليه
من زورقين أخضرين في عيني طفله .
أمام المرأة أقفُ حافياً وخجولاً
أتأملُ وجهي وأصابعي
كنسر رمادي تَعِس
أحلم بأهلي وأخوتي
بلون عيونهم وثيابهم وجواربهم .

من رأى ياسمينَةً فارعةً خلف أقدامي ؟
من رأى شريطةً حمراء بين دفاتري ؟
إنني هنا فناءً عميق
وذراعٌ حديديةٌ خضراء

تخبطُ أمام الدكاكين
والساحات الممتلئة بالنحيب واللذّة
إنني أكثر من نجمةٍ صغيرةٍ في الأفق
أسير يقدمين جريحتين
والفرحُ ينبض في مفاصلي
إنني أسيرُ على قلب أمّه .

جناح الـكآبة

مخـذولُ أنا لا أهل ولا حبيبـه
أـتسكعُ كالضباب المتلاشي
كمـدينـةٌ تحترقُ في الليل
والحنين يسع منكبي الهزيلين
كالرياح الجميله ، والغبار الأعـمى
فالطريقُ طويله
والغابةُ تبتعدُ كالرمح .
مـذي ذراعـيك يا أمـي
أيتها العـجوزُ البعيدةُ ذات القميص الرمادي
دعيني ألمس حزامك المصدّف
وأنشج بين الثديين العـجوزين
لألمس طفولتي وكآبتي .
الدمعُ يتساقط
وفؤادي يختنق كأجراس من الدم .
فالطفولة تتبعني كالشبح
كالساقطة المحلولة الغدائر .

الرجل الميت

أيتها الجسورُ المحطّمة في قلبي
أيتها الوحولُ الصافيةُ كعيون الأطفال
كنا ثلاثة
نخترق المدينة كالسرطان
نجلسُ بين الحقول ، ونسعلُ أمام البواخر
لا وطنَ لنا ولا أجراس
لا مزارعَ ولا سياط
نبحثُ عن جريمةٍ وامرأةٍ تحت نور النجوم
وأقدامنا تخبُّ في الرمال
تفتحُ مجارييرَ من الدم
نحن الشبيبة الساقطة
والرماح المكسورة خارج الوطن
من يعطينا امرأةً بشياب قطنية حمراء ؟
من يعطينا شعباً أبكماً نضربه على قفاه كالبهائم ؟
لنسمعَ تمزُّقَ القمصان الجميله
وسقسقة الهشيم فوق البحر
لنسمعَ هذا الدوي الهائل

لستة أقدام جريحة على الرصيف
حيث منةٌ عام تريضُ على شواربنا المدمّاة
منة عام والمطر الحزين يحشرجُ بين أقدامنا .

بلا سيوفٍ ولا أمهات
وقفنا تحت نور الكهرباء
تتشاءبُ ونبكي
ونقذفُ لفائفنا الطويلةً باتجاه النجوم
تحدثُ عن الحزن والشهوه
وخطواتِ الأسرى في عنق فيروز
وغيوم الوطن الجاحظه
تلتفتُ إلينا من الأعالي وتمضي . .
يا ربّ

أيها القمرُ المنهوك القوى
أيها الإلهُ المسافرُ كنهدرِ قديم
يقولون أنك في كل مكان
على عتبة المبنى ، وفي صراخ الخيول
بين الأنهار الجميله
وتحت ورق الصفصاف الحزين
كن معنا في هذه العيون المهشمه
والأصابع الجرباء
أعطنا امرأة شهية في ضوء القمر
لنبكي

لنسمع رحيل الأظافر وأنين الجبال
لنسمع صليل البنادق من ثدي امرأة .
ما من أمة في التاريخ
لها هذه العجيزة الضاحكة
والعيون المليئة بالأجراس .

لعشرين ساقطة سمراء ، نحملُ القمصان واللقائف
نطلُ من فرجات الأبواب
ونرسل عيوننا الدامعة نحو موائد القتلى
لعشرين غرفة مضاءة بين التلال
تتكيء على المدافع
ونضع ذقوننا اللامعة فوق الغيوم .
ابتسم أيها الرجل الميت
أيها الغراب الأخضر العينين
بلادك الجميلة ترحل
مجدك الكاذب يتطفي كنيران التبن
افتح ساقيك الجميلتين . . لنمضي . .
لنسرع إلى قبورنا وأطفالنا
المجدد كلمات من الوحل
والخبر طفلة عارية بين الرياح .

يا قلبي الجريح الخائف
أنا زمارة الشتاء البارد

ووردة العار الكبيره
تحت ورق السنديان الحزين
وقفتُ أدخن في الظلام
وفي أظافري تبكي نواقيس الغبار
كنت أتدفقُ وأتلوى
كحبلٍ من الشريات المضيئة الجانعه
وأنا أسير وحيداً باتجاه البحر
ذلك الطفل الأزرق الجبان
مستعداً لارتكاب جريمة قتل
كي أرى أهلي جميعاً وأتحسسهم بيدي
أن أتسكع ليلةً واحده
في شوارع دمشق الحبيبه .

يا قلبي الجريح الخائن
في أظافري تبكي نواقيسُ الغبار .
هنا أريد أن أضغَ بندقيتي وحذائي
هنا أريد أن أحرقَ هشيم الخبر والضحكات
أوربا القانية تنزفُ دماً على سريري
تهرولُ في أحشائي كنسرٍ من الصقيع
لن نرى شوارع الوطن بعد اليوم
البواخرُ التي أحبها تبصقُ دماً وحضارات
البواخر التي أحبها تجذبُ سلاسلها وتمضي
كلبوة تجلد في ضوء القمر

يا قلبي الجريح الخائن
ليس لنا إلا الخبز والأشعار والليل
وأنت يا آسيا الجريحه
أيتها الوردة اليابسة في قلبي
الخبز وحده يكفي
القمح الذهبي التائه يملأ ثديك رصاصاً وخمراً .

الليل والأزهار

كان بيتنا غاية في الاصفرار
يموتُ فيه المساء
ينام على أنين القطارات البعيدة
وفي وسطه
تنوح أشجارُ الرمان المظلمة العارية
تتكسّر ولا تنتج أزهاراً في الربيع
حتى العصافير الحنونة
لا تغرد على شبايبكنا
ولا تقفز في باحة الدار .
وكنت أحبك يا ليلي
أكثر من الله والشوارع الطويلة
وأتمنى أن أغمسَ شفتيك بالنبيذ
وألتهمك كتفاحة حمراء على منضده .

ولكنني لا أستطيع أن أتنهّد بحريه
أن أرفرف بك فوق الظلام والحريير
انهم يكرهونني يا حبيب

ويتسربون الى قلبي كالأظافر
عندما أريد أن أسهرَ مع قصائدي في الحانه
يريدونني أن أشهر الكلمة
أمام الليل والجاء السوداء
أن أجلد حروفي بالقلمِ والغبار والجرحى
إنني لا أستطيعُ يا حبيبهِ
وفؤادي ينبضُ بالعيون الشهل
والسهرات الطويلة قرب البحر
أن أبني لهم امبراطورية ترشحُ بالسعالِ والمشانق
أنا طائرٌ من الريف
الكلمة عندي أوزةٌ بيضاء
والأغنيةُ بستانٌ من الفستق الأخضر

حديقة الكلمات

سئمتك أيها الشعر ، أيها الجيفة الخالده
لبنان يحترق
يشب كفرس جريحة عند مدخل الصحراء
وأنا أبحثُ عن فتاة سمينه
أحتكُ بها في الحافله
عن رجلٍ عربي الملامح ، أصرعه في مكانٍ ما .
بلادي تنهار
ترجفُ عارية كأنثى الشبل
وأنا أبحثُ عن ركنٍ منعزل
وقروية يائسة ، أغرر بها .

يا ربة الشعر
ببلادر خرساء
تأكل وتضاجع من اذنيها
أستطيع أن أضحك ، حتى يسيل الدم من شفتيَّ

أنا الزهرة المحاربة ،
والنسرُ الذي يضرب فريسته بلا شفقه .

أيها العرب ، يا جبلاً من الطحين واللذَّ
يا حقول الرصاص الأعمى
تريدون قصيدةً عن فلسطين ،
عن الفتح والدماء ؟
أنا رجلٌ غريبٌ لي نهدان من المطر
وفي عينيَّ البليدتين
أربعةُ شعوبٍ جريحة ، تبحث عن موتاهها .
كنت جائعاً
وأسمع موسيقى حزينة
وأثقل في فراشي كدودة القز
عندما اندلعت الشرارة الأولى .

أيتها الصحراء . . إنك تكذبين
لمن هذه القبضة الأرجوانية
والزهرة المضمومة تحت الجسر ،
لمن هذه القبور المنكسة تحت النجوم
هذه الرمال التي تعطينا
في كل عام سجناً أو قصيده ؟
عاد البارحة ذلك البطل الرقيق الشفتين
ترافقه الريح والمدافع الحزينة

ومهمازه الطويل ، يلمع كخنجرين عاريين
أعطوه شيخاً أو ساقطه
أعطوه هذه النجوم والرمال اليهوديه .

هنا . . .

في منتصف الجبين
حيث مئات الكلمات تختصر
أريد رصاصة الخلاص
يا إختي

لقد نسيت حتى ملامحكم
أيتها العيون المثيرة للشهوة
أيها الله . . .

أربع قارات جريحة بين نهدي
كنت أفكر بأنني سأكتسح العالم
بعيني الزرقاوين ، ونظراتي الشاعرية .

لبنان . . يا امرأة بيضاء تحت المياه
يا جبلاً من النهود والأظافر
اصرخ أيها الأبيكم
وارفع ذراعك عالياً
حتى ينفجر الابط ، واتبعني
أنا السفينة الفارغة
والريح المسقوفة بالأجراس

على وجوه الأمهات والسبايا
على رفات القوافي والأوزان
سأطلق نوافير العسل
سأكتب عن شجرة أو حذاء
عن وردة أو غلام
أرحل أيها الشقاء
أيها الطفل الأحدب الجميل
أصابعي طويلة كالإبر
وعيناي فارسان جريحان
لا أشعار بعد اليوم
إذا صرعوك يا لبنان
وانتهت ليالي الشعر والتسكع
سأطلق الرصاص على حنجرتي .

وداع الموح

في المرافئ المزدحمة ، يلهثُ الموج
في قعر السفينة يتوهجُ الخمر
وئضاء النواقد ،
والزبد الحريري ، يرنو الى الأقدام المتعبه
ويتناثر على الحقائق الجميله
هنا بيتي ، وهناك سروي وطفلي .
ابتعدي أيتها السفنُ الهرمه ،
يا قبوراً من الاجاص والبقايا
عودي الى الصحراء الموجه
والقصور التي تفتح شبابيكها للسياط

إنني أتقدم في ضجة الميناء
أبحث عن محرمه زرقاء وامرأة مهجورة
أرسل نحبي الصامت
نحو الشارع القديم ، والحديقة المتشابكه
يدي تلوح للنهدين المتألقين تحت الأشجار
للأشعار الميتة في فمي .

سأبكي بحرارة
يا بيتي الجميل البارد
سأرنو الى السقف والبحيرة والسرير
وأتلمس الخزانة والمرآة
والثياب الباردة
سأرتجفُ وحيداً عند الغروب
والموتُ يحملني في عيونه الصافية
ويقذفني كاللفافة فوق البحر .

سريه تحت المطر

الحبُ خطواتٌ حزينَةٌ في القلب
والضجرُ خريفاً بين النهدين
أيتها الطفلة التي تقرع أجراس الحبر في قلبي
من نافذة المقهى ألمح عينيك الجميلتين
من خلال النسيم البارد
أتحسُّ قبلاتك الأكثر صعوبةً من الصخر .
ظالمٌ أنت يا حبيبي
وعينك سريران تحت المطر
ترفق بي أيها الاله الكستاناني الشعر
ضعني أغنيةً في قلبك
ونسراً حول نهديك
دعني أرى حبك الصغير
يصدحُ في الفراش
أنا الشريدُ ذو الأصابع المحرقه
والعيونُ الأكثرُ بلادةً من المستنقع
لا تلمني اذا رأيتني صامتاً وحزيناً
فإنني أهواك أيها الصنم الصغير

أهوى شعرك ، وثيابك ، ورائحة يديك الذهبيتين .

كن غاضباً أو سعيداً يا حبيبي
كن شهياً أو فاتراً ، فإنني أهواك .
يا صنوبرة حزينة في دمي
من خلال عينيك السعيدتين
أرى قرّيتي ، وخطواتي الكنيبة بين الحقول
أرى سريري الفارغ
وشعري الأشقر متهدلاً على المنضده
كن شفوqاً بي أيها الملاك الوردي الصغير
سأرحلُ بعد قليل ، وحيداً ضائعاً
وخطواتي الكنيبه
تلتفت نحو السماء وتبكي .

القتل

ضع قدمك الحجرية على قلبي يا سيدي
الجريمة تضرب باب القفص
والخوف يصدح كالكروان
هاهي عربة الطاغية تدفعها الرياح
وها نحن نتقدم
كالسيف الذي يخترق الجمجمه .

أيها الجراد المتناسل على رخام القصور والكنائس
أيتها السهول المنحدرة كمؤخرة الفرس
المأساة تنحني كالراhibه
والصولجان المذهّب ينكسر بين الأفخاذ .
كانوا يكدحون طيلة الليل
المومسات وذوو الأحذية المدبّبه
يعطرون شعورهم
ينتظرون القطار العائد من الحرب .
قطار هائل وطويل
كنهر من الزنوج
ين في أحشاء الصقيع المتراكم

على جثث القياصرة والموسيقين
ينقل في ذيله سوقاً كاملاً
من الوحل والثياب المهلهله
ذلك الوحل الذي يغمرُ الزنزانات
والمساجد الكنيية في الشمال
الطائرُ الذي يغني يُزجُّ في المطابخ
الساقيةُ التي تضحك بغزاره
يُربى فيها الدود
تتكاثرُ فيها الجراثيم
كان الدودُ يغمر المستنقعات والمدارس
خيطان رفيعة من التراب والدم
تتسلَّق منصّات العبودية المستديره
تأكل الشاي وربطات العنق ، وحديد المزاليج
من كل مكان ، الدود ينهمرُ ويتلوى كالعجين ،
القمحُ ميت بين الجبال
وفي التوابيت المستعمله كثيراً
في المواخير وساحات الاعدام
يعبثون شحنة من الأظافر المضيئه الى الشرق
وفي السهول التي تنبع بالخططة والديدان . . .
حيث الموتى يلقون على المزابيل
كانت عجلاتُ القطار أكثر حنيناً الى الشرق ،
يلهث ويدوي ذلك العريسُ المتقدم في السن
ويخبط بذيله كالتمساح على وجه آسيا .

كانوا يعدّون لها منديلاً قانياً
في أماكن التعذيب
ومروحةً سميكةً من قشور اللحم في سيبيريا ،
كثير من الشعراء
يشتهون الخبر في سيبيريا .

البندقيةُ سريعةٌ كالجنف
والزناد الوحشي هادئٌ أمام العينين الخضرأوين
هائحن نندفع كالذباب المسنّن
نلوحُ بمعاطفنا وأقدامنا
حيث المدخنةُ تتوارى في الهجير
وأسنان القطار محطّمةٌ في الخلاء الموحش
الطفلةُ الجميلة تبتهل
والأسيرُ مطاردٌ على الصخر .
أنامُ وعلى وسادتي وردتان من الخبر
الخريفُ يتدحرج كالقارب الذهبي
والساعات المرعبه تلتهبُ بين العظام
يدي مغلقة على الدم
وطبقةٌ كثيفة من النواح الكنيب
تهدر بين الأجساد المتلاصقة كالرمل
مستاءةٌ من النداء المتعقّن في شفاء غليظه
تشير الغثيان
حيث تصطّك العيونُ والأرجل

وأنين متواصل في مجاري المياه
شفاه غليظة ورجال قساة
انحدروا من أكمات العنف والحرمان
ليلعقوا ماء الحياة عن وجوهنا
كنا رجالاً بلا شرفٍ ولا مال
وقطعنا بربرية تثغو مكرهة عبر المآسي
هكذا تحكي الشفاه الغليظة يا ليلي
أنت لا تعرفينها
ولم تسمي رائحتها القوية السافله
سأحدثك عنها ببساطة وصدق وارتياح
ولكن
ألا تكوني خائنة يا عطور قلبي المسكين
فالجبر يلتهب والوصمة ترفرف على الجلد .

غرفتي مطفأة بين الجبال
القطيع يرفع قوائمه الخافيه
والأوراق المبعثرة تنتظر عندليبيها
وندلف وراء بعضنا الى المغسله
كجذوع الأشجار يجب أن نكون
جواميس تتأمل أظلافها حتى يفرقع السوط
نمشي ونحن نيام
غفاة على البلاط المكسو بالبصاق والمحارم
نرقد على بطوننا المضروبة بأسلاك الحديد

ونشرب الشاي القاحل في هدوءٍ لعين
وتمضي ذبابة الوجود الشقراء
تخفقُ على طرف الحنجره
كنا كنزاً عظيماً
ومناهلٍ سخيهِ بالدهن والبغضاء
تتشاجرُ في المراحيض
وتتعانق كالعشاق .

أعطني فمك الصغير يا ليلي
أعطني الحلمة والمدية اننا نبحثو
تحدثُ عن أشياء تافهه
وأخرى عظيمة كالسلاسل التي تصرُّ وراء الأبواب
موصدة . . موصدة هذه الأبواب الخضراء
المنتعشة بالقذاره
مكروهة صلده
من غماماتِ الشوق الناحبة أمامها
تتشاءبُ وتتقيأُ وننظر كالدجاجِ الى الأفق
لقد مات الحنان
وذابت الشفقة من يؤبؤ الوحشِ الانساني
القابع وراء الزريبه
يأكل ويأكل
وعلى الشفة السفلى المتدلية آثار مأساة تلوح
أمي وأبي والبكاء الخانق

آه ما أتعسني إلى الجحيم أيها الوطن الساكن في قلبي
منذ أجيال لم أرَ زهره .

الليالي طويلة والشتاء كالجمر
يومٌ واحد
وهزيمةٌ واحدة للشعب الأصفر الهزيل
إنني ألمس لحيتي المدبَّبه
أحلم برائحة الأرض وسطوح المنازل
بفتاةٍ مرَاهقةٍ ألحقها بلساني
السما زرقاء
واليد البرونزية تلمس صفحة القلب
الشفاء الغليظة تفرز الأسماء الدموية
وأنا مستلقٍ على قفائي
لا أحدَ يزورني أثرثرُ كالأرمله
عن الحرب ، والأفلام الخليعة ، ونكران الذات
والخفير المطهَّم ، يتأمل قدمي الخافيتين
وقفتُ وراء الأسوار يا ليلي
أتصاعد وأرتمي كأنني أجلس على نابض
وقلبي مفعمٌ بالضباب
ورائحة الأطفال الموتى
إن أعلامنا ما زالت تحترق في الشوارع
متهدلة في الساحات الضاربة إلى الحمرة
كنت أتساقط وأحلم بعينيك الجميلتين

بقمصانك الوردية
والهجير الضائع في قبلاتك الأخيرة
مرحباً بك ، بقمك الغامق كالجرح
بالشامة الحزينة على فتحة الصدر
أنا عبدٌ لك يا حبيبه
ترى كيف يبدو المطر في الحدائق ؟
ابتعدي كالنسيم يا ليلي
يجب ألا تلتقي العيون
هرم الانحطاط نحن نرفعه
نحن نشكُ راية الظلم في حلقات السلاسل
بالله لا تعودى
شيءٌ يميزني أن أراهم يلمسونك بغلظه
أن يشتهوك يا ليلي
سألكم الحديد والجباه الدنيه
سأصرخُ كالطفل وأصيح كالبغي
عيناك لي منذ الطفولة تأسراني حتى الموت .

انطفأ الحلم ، والصقرُ مطارداً في غابته
لاشيء يذكر
إننا نبسمُ وأهدابنا قائمةٌ كالفحم
هجمت أبكي أتوسل للأرض الميتة بخشوع
أواه لم زررتني يا ليلي ؟
وأنت أشدُّ فتنةً من نجمة الشمال

وأحلى رواء من عناقيد العسل
لا تكتبي شيئاً سأموتُ بعد أيام
القلبُ يخفق كالمحرمه
ولا تنال الشمس تشرق ، هكذا تتخيل
اننا لا نراها
وعلى حافة الباب الخارجي
ساقية من العشب الصغير الأخضر
تستحم في الضوء
وثمة أحذية براقه تتنقل على رؤوس الأزهار
كانت لامعة وتحمل معها رائحة الشارع ، ودور السينما
كانت تدوس بحريه
ووراء الباب الثالث
يقوم جدارٌ من الوهم والدموع
جدار تنزلق من خلاله رائحة الشرق
الشرق الذليل الضاوي في المستنقعات
آه ، إنَّ رائحتنا كريهه
اننا من الشرق
من ذلك الفؤاد الضعيف البارد
إننا في قيلولة مفزعة يا ليلي
لقد كرهتُ العالم دفعة واحدة
هذا النسيج الحشري الفتاك
وأنا أسير أمام الرؤوس المطرقة منذ شهور
والعيون المبللة منذ بدء التاريخ

ماذا تشير بي ؟ لاشيء
انني رجلٌ من الصفيح
أغنية ثقيلة حادة كالمياه الدفقه
كالصهيل المتمرد على الهضبه .
هضبة صفراء ميتة تشرق بالألم والقولاذ
فيها أكثرُ من ألف خفقة جنونيه
تنتحبُ على العتبات والنوافذ
تلتصقُ بأجنحة العصافير
لتنقل صرخة الأسرى وهياج الماشيه
من نافذة قصر كالمهدمة ، ترينها يا ليلي
مرعبة ، سوداء في منتصف الليل
ومئات الأحضان المهجورة تدعو لفنائها
وسقوط هامتها
وردنها بالقش والتراب والمكانس
حتى لو قدّر للدموع الحبيسة بين الصحراء والبحر
أن تهدرَ أن تمشي على الحصى
لأزالتها تلك الحشرة الزاحفة الى القلب
بالظلم والنعاس يتلاشى كل أثر
بالأنفاس الكريهة
والأجساد المنطوية كالحلزونات
بقوى الأوباش النائمة بين المراحيض
سنبني جنينة للأطفال
وبيوتاً نظيفه ، للمتسكعين وماسحي الأحذية .

أتى الليل في منتصف أيار
كطعنة فجائية في القلب
لم تتحرك
شفاهنا مطبقة على لحن الرجولة المتقهقر
في المقصورات الداخلية ثمة عويل يختنق
ثمة بسالة مضحكة في قبضة السوط
الأنوارُ مطفأة . . لماذا ؟
القمرُ يذهب الى حجرته
وشقائق النعمان تحترق على الاسفلت
قشٌّ يلهبُ في الممرات
وصريرُ الخطب ينثُرُ في زوايا خفيه
آلاف العيون الصقراء
تفشُّ بين الساعات المرعبة العاقة
عن عاهرة ، اسمها الانسانيه
والرؤوس البيضاء ، مليئة بالأخاديد
يا رب تشرق الشمس ، يا إلهي يطلع النجم
دعه يغني لنا إننا تعساء
عذبنا ما استطعت
القملُ في حواجبنا
وأنت يا ليلي لا تنظري في المرآة كثيراً
أعرقك شهيةً وناضجه
كوني عاقلة وإلا قتلتك يا حبيبه .

لتشرق الشمس
لتسطع في إلية العملاق
الحدأة فوق الجبل
الغربة جميلة ، والرياحُ الزرقاء على الوساده
كانت لها رائحة خاصه
وطعم جيفي حار ، دعه
ملايين الابر تسبح في اللحم .

أين كنتَ يوم الحادثه ؟
كنتَ لاحقُ امرأة في الطريق يا سيدي
طويلة سمراء وذات عجيذة مدملجه
إنني الوحيد الذي يَرُ في الشارع دون أن يحييه أحد
دعني ، لا أعرف شيئاً
اطلقُ سراحِي يا سيدي أبي مات منذ يومين
ذاكرتي ضعيفه ، وأعصابي كالمسامير .
أنا مغرمٌ بالكسل
بعده نساء على فراشٍ واحد

الجريمة تعدو كالمهر البري
وأنا ما زلت ألعقُ الدم المتجمد على الشفة العليا
مالحاً كان ، من عيوني يسيل
من عيون أُمي يسيل
سطّحوه على الأرض

الأشربة تتساقط كالبلح
لقد فات الأوان
إنني على الأرض منذ أجيال
أتسكع بين الوحوش والأسنان المحطمة
أضربه على صدره انه كالثور
سفلّه ، دعني أكل من لحمه
بشدة كان الألم يتجه في ذراعي
بشدة ، بشدة ، نحن عبيد يا ليلي
كنت في تلك اللحظة
أذوق طعم الضجيج الانساني في أقسى مراحل
مئات السياط والأقدام الياسه
انهمرت على جسدي اللاهث
وذراعي الممددة كالجل
كنت لا أُمَيِّزُ أيَّ وجهٍ من تلك الوجوه
التي نصادفها في السوق والباصات والمظاهرات
وجوه متعطشة نشوى
على الصدر والقلب كان غزالُ الرعب يمشي
بحيرة التماسيح التي تمرُّ بمرحلة مجاعه
مجاعة تزدردُ حتى الفضيله
والشعورُ الالهي المسوؤس
لقد فقدنا حاسة الشرف
أمام الأقدام العارية والثياب الممزقة
أمام السياط التي ترضعُ من لحم طفلةٍ بعمر الورد

تجلد عاريةً أمام سيدي القاضي
وعدة رجال ترشح من عيونهم تنانة الشبق
والهياج الجنسي
وجوه طويلة كقضبان الحديد
تركنتي وحيداً في غرفة مقفلة ، أمضغ دمي
وأبحث عن حقد عميق للذكرى .

النجيع ينشدُ على طرف اللسان
والغرابُ ينهض الى عشته
الألمُ يتجول في شتى الأنحاء
والمغيص يرتفع كال موج حتى الهضبه
كادت تنسحب من هذا النضال الوحشي
من هذا المغيص المروع
رأسي على حافة النافوره
وماؤها الفضي يسيلُ حزيناً على الجوانب
من وراء المياه والمرمر
يلوح شعراً قاسيون المتطاير مع الريح
وغمامة من المقاهي
والحانات المغرورة بالسكرارى
تلوح بنعومة ورفق عبر السهول المطأطئة الجباه
لم يعد يورق الزيتون
ولم تدرُ المعاصر ، كلهم أذلاءً
وأضلاعي تلتهبُ قرب البحيره

انها تسقي الزهور ، أنا عطشان يا سيدي
في أحشائي الصحراء
انقذني يا قمر أيار الحزين .

استيقظي أيتها المدينة المنخفضة
فتيانك مرضى ،
نساؤك يجهضن على الأرصفه
النهد نافر كالسكين
أعطني قمك ، أيتها المتبرجة التي تلبس خوذته .

بردى الذي ينساب كسهلٍ من الزنبق البلوري
لم يعد يضحك كما كان
لم أعد أسمع بأنع الصحف الشاب
ينادي عند مواقف الباصات
الحرية منقوشة على الظهر
واللجام مليء بالحموضه .
ضع قدمك الحجرية على قلبي يا سيدي
الريخ تصفر على جليد المعسكرات
وثمة رجل هزيل ، يرفع ياقته
يشرب القهوة
ويبكي كإمرأة فقدت رضيعها

دعُ الهواء الغريب
يكنس أقواس النصر ، وشالات الشيوخ والراقصات
انهم موتى
حاجز من الأرق والأحضان المهجوره
ينبت أمام الخرائب والثياب الحمراء
وذئاب القرون العائدة بلا شاراتٍ ولا أوسمه
تشقُ طريقها داخل الدم
تموتُ على الرمال البهيجه الحاره
لاشيء يُذكر الأرض حمراء
والعصافير تكسر مناقيرها على رخام القصر .
وداعاً ، وداعاً إخوتي الصغار
أنا راحلٌ وقلبي راجعٌ مع دخان القطار .

غرفة بملايين الجدران

أوراق الخريف

طالما عشرون ألف ميل بين الرأس والوساده
بين الحلمة والحلمه
لن أعود إلى المسرح بأصابع محطّمة
والخبر ينزف من غرتي على الجدران والقاعات .
سأعيش هكذا
زهرة يرويها الدم وتقصفها الريح
لأروي ظمئي العميق
إلى الرمل والجنون
للتشفي من بلاد حزينه
تتأرجح أسنانها كالخبال على مدخل التاريخ .

* * *

طالما عشرون ألف ميل بين العنصر والطائر
بين السنبلة والسنبله
سأجعل كلماتي مزدحمة كأسنان مصابة بالكزاز
وعناويني طويلة ومتشابكة كقرون الوعل

* * *

ولكن كما هو الثدي الفؤار
بحاجة الى الأصابع الوثنيّه
والزنود المشمّرة مع جلدها حتى الابط
كذلك أنا

بحاجة إلى شيء مجهول
له نعمة النهد وشراسة الصقر
يقبض عليّ من معصمي كالسارق
يلتفت حول طاولتي كلجام من الصمغ .

* * *

ولكن . .

تنقصني العيون الصافية
والشعر المسترسل إلى الوراء
القدرة على سبك الكلمات
وتشذيبها كأذرع خارجة من القبر
ينقصني العمر والإيمان
الكوخ الأزرق الذي أحلم به
والطاولة المحدّبة التي أشتهيها
حيث لا وطن للمرافق
ولا مقرّ للدموع .

* * *

ولكن . .

بعض الكلمات زرقاء أكثر مما يجب
صعبة وجامحه

وترويضها كترويض الوحش
ولكنني سأكافحُ بلا رحمه
بلا أزهارٍ أو طبول
مَتَكُنَّا على طاولتي كالخداد
مستلقياً على قفاي كالشريد
حتى أحسنَ الحياة كلها
الحياة والحب والدمار
العسل والريح والسياط
تتطايرُ وتلتهب
تتطايرُ وتهوي كأوراق الخريف في الغابات .

* * *

لأن الكلماتِ الأخيرة ستقالُ في ليلة ما
لأن يدي
سفينةٌ مطفأةٌ بين دربين من النجوم
سأهجرُ المطر والريح
سأترك الجوعَ يتراكم بين أسناني
كما يتراكم الثلج على أجنحة العصافير
لأجل العيون الغريبة
والنجوم المهترئة كأصابع القدم
سأليسُ المعاطف الجلديه
وياقاتِ الفرو الحمراء
سأنتعل أحذية العمال الموتى
وأكل في مطاعمهم ذات الأجراس

سأكونُ شهماً وضالاً
ولي عنفوان الآلهه
سأجعلُ الهموم تتراكم على شفتي
كما يتراكم الجليد على أفواه المغارات الأثريه
أترك غبار المكائس والقطارات
يملاً أذني
وألتفتُ حول قصائدي كالذيل
لا أريد أن أسمع شيئاً
لا المطرَ ولا الموسيقى
لا صوت الضحيه ولا صوت الجلال
لن أسمع إلاً طقطقة القصائد في جيوبي
وارتطام الحقائق على ظهري من مكان إلى مكان .

نجوم وأمطار

في فمي فم آخر
وبين أسناني أسنان أخرى .

* * *

يا أهلي . يا شعبي
يا من أطلقتموني كالرصاصة خارج العالم
الجوع ينبض في أحشائي كالجنين
إنني أقرض خدودي من الداخل
ما أكتبه في الصباح
أشمنز منه في المساء
من أصافحه في التاسعة
أشتهي قتله في العاشرة
أريد زهرة كبيرة بحجم الوجه
ثقباً كبيراً بين الكتفين
لتنبثق ذكرياتي كلها كالينبوع
أصابعي ضجرة من بعضها
وحاجبائي خصمان متقابلان .

* * *

أريدُ أن أهرَّ جسدي كالسلك
في احدى المقابر النائية
أن أسقطَ في بئرٍ عميقه
من الوحوش والأمهات والأساور
لقد نسيت شكل الملعقة وطعم الملح
نسيتُ ضوء القمر ورائحة الأطفال
ان أحشائي مليئةٌ بالقهوة الباردة
والمياه العمياء
وحنجرتي مفعمةٌ بقصاصات الورق وشرائح الثلج
أيها الماء القديم
أيها الماء النقي . . كم أحبك .

* * *

بياقات صلبة تصل حتى الذقن
بشفاه دبقة ومعاصم تخنقها الأزوار
نقف لنأكل
نقف لنشتاق
نهوي على الذباب بالقصائد والمناديل
لنلمح شجرةً أو طائراً يمضي .
بأقدام صغيرة لا تعرف الرحمه
تتكئ على الأرض
ونقذف أضلاع الريف من شارع إلى شارع .

* * *

كنتُ أصعدُ الأدراج الملتوية مئات المرات

نظيفاً كالقطن
لماعاً كورق الآس .
اصعدُ وأهبطُ كخنجرِ القاتل
بأحذيةِ الشهرة ، وأحذية البغضاء
معلقاً تعاستي في مسامير الحائط
غارساً عينيَّ في الشرفات البعيدة
والأنهار العائدة من الأسر
رأيتهم جميعاً تحت السماء الصفراء
أغنياء ومسلمين
فقراء ووحوش
ملايين الأسنان تصطدمُ في الشارع
ملايين الوجوه المقطبَّه
تخفض بصرها تحت الرعد
رأيت الجنازاتِ المسرعه
وأعنة الجياد البربرية تلتهبُ في الشوارع
والعمال يسقطون من الأدوار العليا
يقبرون باحكام تحت المطر الحزين
مع تبغهم وثيابهم وضُررِ طعامهم
دون أن يثورَ شيء ما في الصحراء
الريخُ تصفرُ فوق النجيع
والقبورُ الصغيره
تتساقطُ كالندى على القبعاتِ والمعاطف .

* * *

رأيتُ النسيم المعلَّب
والصحف المرتطمة بالأمطار
شربتُ المياه المسنَّه
ولعقتُ الزبدة التي فيها دماء الثدي
ولم تساورني الشكوك أبداً
في هذه الأرض النائمة كالطفل
في هذه الأرض المحدودة كالجزَّار
ولكن من خلال الشبابيك
من خلال الآلاف المؤلفه
من النجوم والجثث والمطارق الناريه
كنت أبحثُ عن ضربةٍ قاصمةٍ لوجهي
عن بحر صغير أنتعله بقدمي
وطعام متكبَّر
أطويه على زندي كالوشاح .
لقد مللتُ السلالم الطويلة وقاعات الانتصار
أريد أن أشوي الذرة عند الغروب
أن أكل الحجر والحصى عند الغروب .
* * *
أريد أن أضمَّ إلى صدري أيَّ شيءٍ بعيد
زهرةً بريَّة
أو حذاءً موحلاً بحجم النسر
أريد أن أكل وأشرب وأموت
وأنام في لحظة واحده

إنني مسرع مسرع
كقيمة أصيبت بالجرب
كموجة وحيدة مطاردة في البحر .

خيانة

كان ينتظرني في العاشرة مساء
وعيناه تومضان كتبعين متجاورين
ذلك الرجل الغريب
وقد أتى مسرعاً في العربة الأخيرة
من القطار الأخير
ليقذف لفائفه من الأدوار العليا
ويمدّ يده كالبنديقة من النافذة .

* * *

وأنا أغدُ السير في الضواحي
بين الوحولِ وصفائحِ التنك
حيث المطرُ ينهمر
والتوافدُ البعيد
تلمع كنفّارات تغطيتها الدموع .

* * *

كانت الحربُ في نهايتها
والأشجارُ الكثيفة تعلوها الأزهار .
كانت الحربُ في بدايتها

والأنهارُ الممزقة
تسافر نحو الجنوب
تعلوها جبالٌ من الرعد والزكام
وذباب المطاعم المقفّره
يحوم فوق المنعطقات وعورات التماثيل .

* * *

كان يقبَلُ حبيته على الشرفه
بعد أن أيقظها بحذائه
وغطّى سريرها بالغبار وقشّ المعتقلات
دافعاً يديها الى الوراء
منحنياً على صدرها
كأحد تلك التماثيل النحاسية
التي تُنصَبُ في ساحات الانتصار
لاعقاً غضاريف الأذن والحواجب
كما تُلَعَقُ أطراف المغلفات .
لقد كانت الحربُ في نهايتها
ونهداها الأزرقان
يتأرجحان تحت المطر كمثانتين فارغتين .

* * *

« لقد نهبوا
لقد تركوا لي العطر . . الغضاريف
والستائر المضرجة بالدماء »
. . . وأنا أجلسُ كالجرذ عند العتبة

أعدُّ الغيوم وحلقاتِ الدخان
لقد كان صديقي الوحيد
وطفله الجميلة من صليبي .

الرجل المطلق

لأجلك أيها الطائش
أيها الرخيمُ كالعصفور
أمسك الملعقة من ذيلها
أمررها بين نهدَي كالزنبقه .

* * *

منذ شهورٍ وهو راقدٌ بجوارنا
متلألئاً كالسيف تحت المياه
يكتب ويدخنُ ويبكي
ولا ينظر إلينا .
ساعات طويلة وهو يغتني
وهو يبكي فوق النفايا البربريه
يمسك المرأة بيديه
يشدّها كجلدة الصدر
بحثاً عن الأيام الغابره
والفرسان الذين أخرجوا من أوكارهم
بأطراف الأحذيه
ثم يمدُّ رأسه خارج النواقذ

كأنه يحمل قرية صغيرة بين أسنانه .

* * *

في ليالي الشتاء
كنت أرنو إليه من شقوق الأبواب
أتأمل جلده الفصفاض
وصدره الهادئ كالحقل
ألصقُ نهدِي على قبضة الباب
أغرسه في مسامير الباب
وأبكي
ولا ينظرُ إليّ
يسير حافياً على البلاط العاري
هامساً كالجاسوس
وأوتارُ ظهره نافرة كأوتار القيثارات
يردد كلماتٍ لا أفهمها
عن المطر والأشعره
وحقول الأرز الصفراء
ويضرب طاولته في الزوايا بإحكام
كمن يبني جسراً لجيش يتقهقر .
ثم يقعي أمام النافذه
يَتَكَيّ على الجدران الأربعة ويغني :
الأيام الجميلة مضتْ
الأيام الراسبة في الوديان
وقاع الفنانين

تسعى كالنمل على أرجل الطاولات
تلتهم الخبز والخمرو أطراف المسدسات .
ثم يشب كالراقصة الى السرير
وذراعاه الأشقران
متدليان على جانبي السرير
كأنه يبحث عن حقائب ما . . في الظلام
عن عنقي ما . . يخنقه .

* * *

كنت أقضي الساعات الطويلة
بعد أن ينأى أطفالي
وتتقابل أنوفهم الصغيره
كعيون العشاق في المقاهي
أتأمل قفا قدميه السمرراوين
أتأمل آلاف الأميال
والطرق المتربة الحارة التي أجتاها
الملح القش والدم والسياط
فوق ظهره الهارب
أتخيل وجهه الأبيض الحبيب وهو
يتصبب عرقاً في الأدغال
وأرجله العاليه
تغوص في الوحل والشوك والمقابر
من أجل الحريه
من أجل الكسل والفوضى .

* * *

كنت أشتهي تقبيله وصفعه كالعبد
أن أرقدَ بجواره كالطفله
وأمصغُ شفثيه كاللبان
ذلك الذي يرخي قدميه من النافذة
كبوقين مكسورين .

* * *

وفي يوم من الأيام
عطرتُ جسدي وشعري ودموعي
وتخيلتُ جسده الهارب فوق جسدي
زنده الموحش
يلفني كالأنفى المريشه
تخيلت كل طيور العالم
تلتقي وتفترق بين نهدي .

* * *

قرعتُ الباب بهدوء
وأسلمت عيني لوجهه الحبيب
للسفن المبعثرة كالعلق على قدميه
فلم أجد غير الريح
والأوراق الممزقه .
سريره فارغ
وثيابه مسلوخة عن الجدران
والمطر يضرب النوافذ كالجلاد
كان وسط الشارع يغيب
زافراً كأولئك الثوار المشبوهين
يتأبط ثيابه وكتبه ووطنه .

هتزل قرب البحر

ماذا يريد الصدرُ البرونزي
والبحرُ الرَّاكبُ فرسه الجميلة
لا أريد الشوارع قصيرةً هكذا
أريدها عميقة وهَيَّابَه
طويلة وفاتنه
كأحشاء مبعثرة في الريح
أريد فقط
وللحظة واحده
أن أداعب الزيدَ الأبيض بعفالي
وأنا مبحرٌ إلى مكان ما
تحت مطر حزين . . حزين
أن أرى بلادي الجانعه
تبتعد عني
زهرة زهرة وشجرة شجره ،
أن أرى الفقرَ والوطنيةَ والمساواة
من نوافذ السفن
حيث الطيورُ المائيَّةُ الكسلى

تبيضُ على قبْعتي
وتشعل لي لفافتي المانلة مع الريح

* * *

لا أريد أباً يلوِّح بشملته
أو حبيبةً تنعقُ لأجلي كالغراب
أريد أن أرحل هكذا
فقيراً وكسولاً
في كل عام أخطو خطوة
وفي كل جيل أكتب كلمة .

* * *

لقد آن الأوان
لتمزيق شيء ما
للابحار عنوةً تحت مطر حزين حزين . . .
لا كمغامر

تلغُّه سيول من الحقائق والأزهار
بل كفارٍ خسيس
كفار داعم العينين
يستيقظ مذعوراً

كلما ناحت إحدى البواخر
وتألقت مصابيحها
كعيون الضباع المبلَّله .

* * *

يا أرضفةً أوروبا الرائعة

أيتها الحجارة الممددة منذ آلاف السنين
تحت المعاطف ورؤوس المظلات ؟
أما من وكر صغير
لبدويٍّ من الشرق ؟
يحمل تاريخه فوق ظهره كالخطّاب .

* * *

لا . .

لن أرحل تحت النجوم
ولن أطلأ أمواجك الصافية بحذائي
سأظلُّ في مؤخرة السفينه
أنهشُ خشبها كاللحم
أعبرها موجةً موجةً ، على رؤوس الأظافر .

* * *

سأصنع أوكاراً ملتوية بين الأمواج
ملتوية وعميقة كالأزقه
أختبئ فيها من العواصف
وزمجرات الريح
سأصنع وسادة من الأمواج العتيقه
وأنام بشيابي وحذائي ودفاتري
حتى الصباح .

* * *

سأشقُّ طرقاً واسعةً للتسكع
وأزرع جوانبها

بالأشجار والمقاعد الفارغه
سأبحث عن سمكة صغيره
بعينين عسليتين
أبحث عن أئدائها بأصابعي
وأعقدُ قراني عليها
تحت وهج القمر ونيران المذابح .
سأصنع لها شعراً طويلاً من شرايين المياه
وصدراً ناهداً
من عيون البحارة القدامى
أكتب لها الأشعار
وأبحرُ معها في أعماق البحر الخلاب
كما يتجول العاشقان في الأسواق .

* * *

وتحت غيوم الكستناء الزرقاء
بين عواء الزنوج
وصرير النهود البريّه
حيث يودّعني البحر ، وهو يسعلُ ويتنهد
كرجلٍ مدمٍ على التبع
سأغوص بحراشقي باتجاه الجزر والأدغال
حيث دموعُ النسور تتراكم كالطمي
والكلماتُ الوحشيه
تتدلى من الأشجار كثمر التين .
لن أكون ضجراً هناك

وأنا أختال كالطاووس
في غرفِ الفحمِ الملتهب
حيث يتصبَّبُ عرقي على الحقائب
وغدائر المسافرين
حاملاً أطفالهن على مداخل الجزر
ضامطاً أثداءهن الصغيرة بكتفي وظهري
رافعاً دفاتري القروية كالسيف البراق
في وجه العالم أجمع .
وفي الليل
عندما تظلمُ الأمواج كالقبور
وتسيل دماء الأسرى تحت الأشعة الغاربة
سأقفُ على موجةٍ عالية
كما يقف القائد على شرفته
وأصرخ :
إنني وحيد يا إلهي .

مصافحة في ايار

- هل وجدت عملاً ؟

- لا

- هل كتبت شيئاً ؟

- لا

- هل أحببت أحداً ؟

- لا

لا . . ولكنني أشعر بزهوِ الجلالد
بأنين الطيار الذي يضربُ وطنه بقنابله
إنها تثير قرفي تلك السماء الزرقاء
إنها تثير شهوتي
تلك الأرصفة الطويلة الملساء .
الأرض والسماء والجبال الضخمة
الوحد والغضب
الموسيقى الناعمة تثير شفقتي .
ولكن صوتي خافتُ وضعيف
وقلبي يذهبُ ويجيء كالفقاعة تحت الجلد
كعصفور أخضر بين سحابتين مهجورتين

لقد اهترأت ذقوننا على المناضد
والتوت أنوفنا من القبلات الطويلة .
- هل ترحل ؟
ولماذا ؟

هل لأعود في أواخر العمر
على عكازين وسخين
وأتمرغ على أول رصيف
يلوح لي من الوطن
أم لأعود لابساً قبعة من القش
متأبطاً ذراع امرأة
ضاجعها رجالٌ بعدد النجوم .
لا

سأظل متكنأً على ريشتي حتى الشيخوخة
متكنأً على مرفقي
حتى يسيل اللحم على الخشب .
* * *

لا . . إلى حفّار القبور
أيها الأبله
إلى قبر يتدلى كالجرس من عنق الصحراء
السهول التي نحلّم بها لم توجد بعد
الانزواء في الغرف الرطبة
أيها الأبطال المجانين
الانزواء في الخنادق التي دمّرتها الحرب

وشوّفتها أقدامُ المنتصرين .
هذه ليست أصابع لكتابة الشعر
إنها مشاجبٌ قديمةٌ للأظافر
وهذه ليست أرجلًا للمشى
إنها قطعٌ كبيرة من اللحم
لضربِ الأسفلت
للوداع ، للشهره
للاحتكاكِ بالوطن . . بالسراويل .

* * *

الانحناء كالصقور الهاربه
أيها الشعراء الموتى
الاختباء في زحام القطارات
وتحت أذرع التماثيل
الرقاد على الحصى والغبار
على بطون الزوجات المتسخة
برائحة السمك والصابون
حتى تبزغَ شمسٌ جديده
وعقولٌ جديده
تفهم ناعسا في المقاهي
وقهقهاتنا خلف رذاذ السفن وبكاء المدافع .

* * *

الرجلُ المائلُ فوق البحيره
يخطو نحوكم كالجلاد

الفلاحُ الحاملُ عقله بين شفتيه
يخاطبكم وهو يهتز كالراقصه :
الأشجارُ ترحل خلسة في الليل
تعود خلسة في الليل
سيطلع بؤسٌ كبيرٌ من قلب الحضاره
ستطلع أزهار قرعاء
وسنابل تنضوّر جوعاً وعهراً
من قلب السهول التي أحببناها
من وراء النوافذ والنظارات
حيث لن تبقى إلا السماء المجديه
وآثار النجوم
الشبيهة بآثار الماشية في الصحراء .

* * *

يا صديقي
ضع لفافه الى جانبي وارحل
لا . . .

تعال إلى نور المصابيح
لأراك وأنت تمشي
لأراك وأنت تعطي !!

بلك في رحلة صيد

أحبُّ أن أرثي ذلك الرجل
وأنا مشوَّة وطريد
في تلك الأقاليم الغائمه
حيث الجيادُ تصهل
والقمرُ يشبُّ كالحيوان خارج الوطن .
أحبُّ أن أرثي ذلك الرجل
أن أحملَ نعشه بيدي كاللفافه .

* * *

منذ عشرين عاماً
رأيتَه يرفعُ غدائره بيده
يلوِّحُ بسوطه فوق أرضنا المقتصبه
وكلابُ صيده تحشِشُ بأطواقها المعدنيه
داخل الضباب الممزَّق بالرصاص .

* * *

أنا وحدي الطفل الأبله
ذو العين الدبقه
والشعر المسترسل على كتفي كالصوف

كنت أنام في الصناديق
وأسافر في الشاحنات
أتسلق أشجار السرو حتى نهايتها
لأرى بصيلات شعره وسواحل فمه
لأرى فكّه الأبيض
وهو يقرض النهود والتضاروات
لأرى الحب والفقر من علو شاهق
أرفع سروالي وأتمتم كالعصفور :
مولاي !!

إنني ضجر يا مولاي !!
أرسلني مع بضائعك وقبعاتك إلى مكان آخر
أكتب اسمي على حوافر جيادك
واركض بي كالصاعقه فوق الصخور
فالرمال في بلادي لا تجيد القراءة
والغبار لا يحب عيون الأطفال :

* * *

وكان يبكي في الشتاء
يرقص وحيداً في الزمهرير
ينظر إلى أمهاتنا وأخواتنا
وقد فتت الزحام أئداء هن
كنت أرهبه وأعبده
وأنا الملح أرضي الحبيبه
تشب وتضحك وتتألم

من خلال الخوافر وأغلفة الرصاص
أرض بيضاء كالمرهم
ملينة بروث الجياد والدم وسراويل النساء الباقيات
وهو يصعدُ التلال بعنفِ القراصنة
تاركاً فمه الأحمر
يئنُّ كالنفاشة فوق الكروم
فوق التلال المقلوبة كالمناضد
وأمواج البدو والعسكريين الزرق
ينحدرون كالعاصفة
بين الأنهار والملاء اتِ السود
حيث الغريانُ تبكي
والقضاء مظلمٌ كفوهة المدفع .
وكنت وحدي . . أعود إلى القرية المهجورة
والترابُ الساخن يسلقُ قدمي
منحنياً خلف الأسىجه
منتصباً كالفأر على رماد التاريخ
والحبر يلمعُ بين أسناني كالسكين .
لماذا لا يكون لي بنطالُهُ وشعرُهُ وسوطه ؟ ؟
لماذا لا تكون لي هذه الماشيه ؟
وهذه الطبول ؟

* * *

لقد كان من تلك السلالات المنقرضة
التي ترجّل شعرها عند المنعطفات

وفوق سطوح الفنادق
وكنا نحن بعض الصبية القذرين
نحبّه ونهواه
ونضع له الأمشاط والمرايا وسط الحقول
نأخذ له اللحم والمال إلى قمم الجبال
وهو يمدُّ لنا يده كالخرطوم
لاعقاً كلّ شيء
قشطة الأرض وغلّة الحوانيت
حصيلة الأطفال
وحلوى الشيوخ والمقعدين
ومع ذلك . .
كان الفرخُ ينهمر كالمنطر في الغابات
أرضنا هشة كالكعك
خضراء كالزيت
تفور بالخير والبسالة والأعراس .
ولكن . . .

* * *

منذ أن غاب عنا ذلك الغريب
أضحتْ خرائب قائمه
تصفّر فيها الريح
تنعقُ فيها الغربان .

* * *

لن يصدقوا أبداً أنه مات

وان فمه الشهوي
أنتزع عن الأرض بالملقط
سيقولون ان روحه
ما زالت ترفرف في كبد السماء
وانه راقد في علياء الكون
كما ترقد الفراشة في أذن الطفل .

* * *

سلاماً أيتها العقول المؤمنه
أيتها الجلايب
أيتها الضوضاء القديمه
سلاماً أيتها الكروم
التي مزقتها الركض والايمن .

اصفرار العشب

القمح الأزرق ، ذو الأهداب الطويله
يبكي فوق حقولنا .
أيها الرجل المجهول
اقذف قبعتي في الوحل
اضرب حبييتي بالسياط
ولكن دعني أكل
دعني أغرق أسناني في الأمكنة النائية
في الأمكنة التي أحبها
في المطر . . في النساء
في دواليب القطارات التي أشتهيها

* * *

أيها الطائر المجهول
عندما يكون القمر ساطعاً
والتلال الخضراء تمدُّ مناقيرها من الشاحنات
تأملني وأنا أكل
وأنا أشتاق
تأمل أظافري القذرة على الأكواب

وفمي المدبب كالنصل باتجاه السماء .

* * *

أيها الطائر المجهول
اضرب شقيقتي بالسياط
إحصر أئداء من والقلم خلف أذنيك
ولكن دعني أخبئ الخبز في لحمي كالدبابيس
أقتله كالشوارب السريّة فوق شفتي .
لست مجنوناً ولا خائناً
ولكنني صقر ينكش أضراسه تحت المطر
ينثر مخالفه كالبذار .

* * *

أيها الطفل
أيها القاتل
أسناني أحتثها الريح
من غرفتي التنته
من بين جذور القمح وأظافر الموتى
أخاطبك أيها القاتل
على لساني خمسة عصافير
من الدهن والمطر
نواة غابة تغطيها الثلوج
بين أسناني خمس سفن من الدموع
وغزال يتأبط صحراءه كالتلميذ .
عبر الاصبع والاصبع . . آلاف الجثث والخرائب

عبر الناب والناب
آلافُ الجبال والأودية والزجاج المحطّم
ولكنني قادرٌ على قضم الشرفِ كالخبز
الخبز الأبيض . .
ذو الفقارِ قيع الليلِ
والمتدلي كالشريطة على غدائر الطفل .

* * *

اقذفُ قبعتي في البحر
خذُ حبيبتِي حيث تشاء
« سأجري إليها »
عندما يكون هناك « وقت وريح »
إنني قبرٌ بعجلات لا تحصي
ولكن دعني الآن . . لا غداً
اغرق أسناني في الأشياء التي أحبّها
في الماء . .
في الضّجيج ، في عضلات الحقول
دعني أدفع مخالبي . .
في الأيدي الظالمه
والأيدي البعيده
في المطر . . في الدهن
في الأقدام التي تجوسُ شوارعنا
في البنادق المزهرة كالعوسج فوق قبورنا

مقهى في بيروت

لا شيء يربطني بهذه الأرض سوى الحذاء
لا شيء يربطني بهذه المروج
سوى النسيم الذي تنشّفته « صدفة » فيما مضى
ولكن من يلمس زهرة فيها
يلمس قلبي
من « بلس إلى جاندارك » (١)
ومن « جاندارك إلى بلس »
رفعت يدي مئات المرات
محيياً مئات الأشخاص
باليدي التي تأكل
والتي تكتب
والتي تجوع .

* * *

من التاسعة حتى العاشرة
رأيت نواقيير الطيور والدم

(١) شارعان متقاطعان في بيروت .

والفراشات الممزقة منذ أجيال تحت الخوافر
شربت قهوة وماء وتبغاً ودموعاً
حتى أصبحت كالخليل
وما ارتويت .
وعرضت نعلي في وجه
الصيف والخریف
في وجه البحر والصحراء
والأمطار اليباسه كالجر
وما ارتويت .

* * *

سمعتُ موسيقى حزينه
وهزئتُ رأسي كالجواد
واشتهيت أن أصهل سهيلاً طويلاً يمزق عنقي
أن يكون عنقي من البلور الصافي
لأرى أنهارَ الشوق والجوع والذكريات
كيف تجري ؟
أن أخلع نواجزي
وأضعها على طاولتي كالقفاز
وأنام . . حتى ينتهي العالم .

* * *

اشتھيتُ أن يدخل أبي
من ذلك الباب المذهب
وعقاله يتأرجح على ظهره كحبال المسارح

ومخاط بقرته الحبيبه
يسيل هنا وهناك
كما يسيلُ الدم من شقوق المقابر .
اشتھيت أن أرى قرنيها اللامعين
يفتقان الضجر والحريه
الريح والمطر والهتافات
وتلك الأقداء المفلطحه كأززار المعاطف .

* * *

اشتھيتُ أن تدخل أختي الصغيره
ذات العيون الفستقيه
والجدائل المربوطه بالقتب
لأبتلع يديها الصغيرتين كالنعناع .
اشتھيتُ أن أسمع ضحكاً عاليه علو النجوم
تخلخل ملايين الجدران
وتطحنُها أمام عيني كالرمل .

* * *

من التاسعة حتى العاشره
حيث أمعاء الساعات تبرزُ من المعاصم
اضطجعتُ وحيداً على الصخور
ذهبتُ الى دورة المياه
شاذاً ربطه عنقي إلى أسفل
تاركاً إيّاها
تتأرجح كيد ميته على صدري

وتخيلت آلاف الأشجار المحترقة
تهوي على الأرض
آلاف الجنازير والأقواء والسلاسل
تطوق غرفتي كالضماد .

* * *

اتكأتُ بجوار المداخن
والأوراق المضغوطة بالحبر
لأسرَّح شعري جيداً
لأشدَّ حزامي جيداً
كي تبرِّزُ كآبتي كلها
كي تبرِّزُ أعضائي المتوترة كلها
كما تُبرِّزُ الفتاةُ نهدِها في النزوات .
ورجعتُ الى الزاوية نفسها
مستحماً حتى قمة رأسي باللهب والانكسار
« أيتها المرأة ، أيتها الحصاة ! »
أيتها النافذه
« كوني أمّاً أو شقيقة أو حبيبة لي » .

* * *

من الواحدة حتى الواحده
حيث لحمي يرفع جناحيه كالصفور
شربت ماءً مثلجاً بالقشّ
ومسحتُ العرق بالجدار
وتذكرت الطبيعة الشاسعه

والبيادر المنفصلة عن بعضها كالكنائس .
تذكرت الضفادع وأغصان الغار ؛
كنت أستلقي على مرفقي فيما مضى
أشرب بفمي وحواجبي وجلدي
أشرب ماء أزرق بنون العضلات
يلون البنفسج
يلون الدماء الملكية .

* * *

من « جاندارك إلى بلس »
ومن « بلس إلى جاندارك »
سرت آلاف الكيلومترات المرصوفة فوق بعضها
رأيت أطناناً من النساء والحدامات
تأملت النقود البريه
والحلوى الهادرة تحت الجسور
تأملت أصابع النادل الرفيعه
وهي تمسح دموعي عن الطاولة كالحساء .

* * *

قهوة قهوة أيتها الجدران
مزيداً من الأرصفة والغبار أيها الله
شفتاي في قاع الزجاجه . . .
أريد أن أكون سمكة في مستنقع بعيد
سمكة في غيمة عالية تتحرك .

الرهب والجنس

عندما أكون وحيدة
ومستلقيةً على النهد الذي يحبه
يأتي إليّ
زنخاً كالقصاب
وحيداً كطائر عذّب حتى الموت
يعضني في فمي وشعري وأذني
ويرفعني بين يديه عالياً
كي أرى دموعه من منابرها
لأرى ملايين القطارات المسافره
تلهث بين حاجبيه الكثيفين .
عندما أكون وحيدة
وشهوتي تتمايلُ كورق النخيل
يأتي إليّ
بحذائه الضيق
ومعطفه المموج كالبحر
يمرّ يده القذرة بين نهديّ
ثم يمضي ولا يعود .

* * *

وعندما يجوع
وتتسخ ثيابه من الحبر والكتابه
ولا يجد بيتاً أو شارعاً يأوي إليه
يأتي إليّ
بطيئاً تحت الأشجار الجرداء
يلوح شهوته كالسلسلة بين اصبعيه

* * *

يقفُ ذليلاً على الباب
والدموعُ ترفرف في عينيه كالعصافير
يقف وحيداً أمام العالم
ليشق طريقه كالملاح إلى سريري
في الظلمه
الظلمة العميقة الآسنه
حيث الريحُ تزأر
والأشجارُ المبلّلة تنوح كنسوةٍ مقتصات .
يطوقني بين ذراعيه
وينفرس في لحمي كالصبيان .
يحدثني عن الرعب وأوراق السرو الخضراء
عن تسلخ الجلد في المعتقلات
وتساقط الشفاه في المغاسل
عن الصهيل القديم
والغيوم المرفوعة كالأشرعة على رؤوس الحراب .

* * *

آه لو كانت الذكريات تمشي
طبقات كثيرة من شفتي
ضاعت في المباغي والملاعق
أشياء كثيرة فقدتها بلا معنى
« محارم ، أززار ، حقول »
ولاعات بشكل النجوم .

* * *

الحياة ملة كالمنطر بلا ماء
كالخرب بلا صراخ أو قتلى
فأضحك كثيراً
وأضمه بين ذراعي . . صغيراً صغيراً
أكاد أشربه كالنبيذ
ذلك الغريب الذي يصعد الى صدري
كأنني سفينة أو قطار .

* * *

وعندما ينهمر المطر في الشوارع
وتمتلئ الأزقة بالبوَس والأوحال
ينهض عن صدري
ويرفع كتفيه على شكل زورق . . ويمضي .

الصديقان

كسنبلة مكسوة بالشعر
رأيتك تنزف على فوهة الخليج
أيها المشوّه
تحصي جراحك وندوبك
كما تحصي الغابة طيورها عند المساء .
يا معيلي أيام المحنة
أيها المطرُ والرعبُ والرصاص
انظر
النجوم والبراغيث على قمة الجبل
فمُّ مقابل فم
ونسرٌ مقابل نسر
والأبواب الزجاجية الصفراء
تمنع الشوارع الملتهية من السفر
من التقيؤ تحت الطاولات والستائر .

* * *

انظر . .

أنفك يتحرك كالفرشه

وأنفي يسيل كالمزمар
 نريد طيوراً غاضبة
 تنقب الزجاج بمناقيرها
 أكواباً عالية . . تتكئ عليها شفاها .
 آه ما أشهى النسيم
 الذي يفصل أصابعي عن بعضها
 ويبعث أهدابي فوق البحار
 الأمهاتُ يابساتُ على السطوح
 والأوراقُ الخضراء
 لم تلامس بعضها منذ الصباح
 لا طائر
 لا غبار
 لا أمطار
 والبحرُ بجوارنا مقفراً كباحة المدرسه .
 أمواج صغيره
 ترنُ كالتنك منذ أيام
 الشواطئُ مملوءةٌ برسائل الغرام
 والحلماتُ المجوفة كالغلايين .

* * *

آه يا صديقي
 ما أشهى النسيم الذي مرَّ بنا منذ عام
 في نفس الصيف
 ونفس المكان

لقد كان بارداً ولاذعاً كالوحش
يدخل سراويلنا كألسته الخراف البيضاء .

* * *

انظر هناك
حيث أشيرُ باصبعي
بعض الأمواج الصفراء الميتة
كيف هي طافية
كقطع من الخشب فوق المياه .
انظر إلى السماء
حيث أشير لك بلفاقتي
بعض الغيوم
كيف امّحت من التشرّد والتجوال
ثم انظر
كيف هي طافية على وجه السماء
مهترئة كقفا السراويل .

* * *

آه ما أشهى النسيم الذي مرّ بنا منذ عام
لقد كان يهزّني كالشجرة
ويرفع سترتي كالذئيل
حيث الأمواج تصفع بعضها منذ الصباح
وصوت البحر يعلو ويهبط
كصوت عنقٍ يذبح .

* * *

انظر . . .

عقربُ ساعتك يتشاءب
وعقربُ ساعتِي يدُ رأسه خارج الاطار
أتذكر فمَ الشقيقة العسلية ؟
لقد كان صغيراً كحبة القمح
كالقم الذي رسمته بدموعي على الطاولة
أتذكر هتافاتِ الطفوله ؟
وطيران اللعاب
حيث الريحُ تغني
والقبلةُ تنفتح كالشراع .

* * *

هيا يا صديقي
ثمة غيمة تشبه الرصيف
لنمضي
الريح تهبُّ
والاسفلتُ يرتفع لأجلنا كاللحاف .

الأهداء

تحت المصابيح المبقعة بالدم
رأيتُ ضرسِي يطول
يلتفتُ نحو دموعي كالحمامه
رأيتُ أدمعتهم داخلَ القبعات
وأرجلهم الرفيعة تتشابك كالخيطان تحت المناضد .

* * *

ما أجملَ طعنه في القلب
ذلك الفلاح المشرئب وسط النار الآكله .
غداة رأيناه

بسترتَه المقلَّمة
وشعره المعطر كورق الريحان
يشير غاضباً الى الصحراء البعيده
والمطر المتورم بين الأدغال
شعرنا بالفضيحة السريه .
غداة رأيناه

يعقفُ قدمه كالجواد
ويضرب بها حافة الرصيف

كأنه يضرب العالم على يافوخه
شعرنا بآلاف الكتب تجري كالأوز في المستنقعات .

* * *

كنا علماء وصحفيين وسكاري
نتحدث بأصوات متقطعة
عن القلق والحرب والغيوم الداعرة
تترنح ظماء لقروي غريب
له غدائر الفرس
يصرخ بين الأرانك
ويرفع يده كالمذراة في وجوهنا
كنا نحتضر
والشعر جنازة ترافقها الطيور الحمراء الى المنفى

* * *

وعقب خراب مرير في جوارنا
أقبل الحلم الذي اشتهيناه
سريعاً نشوان لا يعرف الرحمة
ومن بين قدميه الصحراويتين
يتصاعد دخان البحار التي عبرناها
وحرائق الكتب التي قرأناها .
نخرج سوية على الشاطئ
تأمل شعره المبلل
وقمه الذي يلتقط المطر كالعصفور
وهو يسير أمامنا كقائد الشرذمة

مرحاً سعيداً

والوسخُ حول أذنيه يشبه الحواجب . .

* * *

في ربيعٍ قديم . بلا أزهار

هبتُ رياحُ النشوه

سوداءَ مجتَحه ، تومض كأسلحه على الحصى

تقلب الشموع والأرائك

والفلاح الأزرق العينين

يفطُ في نوم عميق

وبخار الكلمات اللقيطه

يتصاعد من فمه وأذنيه ولحمه

كما يتصاعدُ الضباب في الوديان الخضراء .

* * *

الأسلحة كلها مشحونة قرب المدفأه

اللحم والنقود

وسفينة خيالية في جيبه .

* * *

ليستيقظُ ذلك الغريب

ليحمل قصائده بيديه

ويمضي بعيداً بعيداً كبائع البنفسج

العالم كله يطارد غريباً أزرق العينين .

* * *

أنقبرُهُ الليلة ؟ ؟

هنا

في ينبوع العلم الأزرق
أم تتذكرُ سترته المقلّمة
وأخوته المزدحمين كالجراد على النوافذ ؟ ؟

* * *

- أنا الكهلُ الدقيق الملامح
حاصدُ الأفكار المجهول
أريد أن أضُمَّه كطفلي
أن أمرّر يدي على وجهه الحبيب
وأداعبَ حنجرتَه النافرة كالنهد
أي جرسٍ ينوح فيها ؟
أي هزازٍ يرقد فيها رقاد الفراغه ؟
* * *

دعونا نفكّر
نحن الأورُ السابح في أمواج الفكر
نحن الفقائِعُ المطاردة بالمدافع
دعونا تفكر
أضيئوا الغلايين
أضيئوا الأحذية
دعونا نفكر
أنعيش كالديدان على فضلات حزنه وشموخه ؟
دعونا نضمّه الى صدورنا حتى يختنق
ثمّة ممر مجهول إلى حنجرتَه !!

يجب أن نقيده كاختراف
كقيصرٍ صغير
أن نطعنه بعشر زنود واثقة
ونشدَّ اللحم على الجانبين
حتى ينبثق الدم
وتخرج الكلمات القروية كُلها من الأعماق .

وجهه يسى حنائيه

القلوب الوحيدة تُقَذَّفُ من النوافذ
النهود المهجورة تقذف من الحافلات
والطاولة الأرملة
تمدُّ رأسها من النافذة وتبكي .

* * *

كلمات أردها كالمجنون
في المقاهي والخوانيت
تحت النجوم وتحت بصاق الملايين
دون أن يفهمني أحد
لا طفل ولا طائر
لا وحش ولا إنسان
من الصباح إلى المساء وذقني ترتجف
من الصباح إلى المساء وأنا أصرخ :
لقد ضاع زمان النبوغ
والانزلاق على السلالم الطويلة
القمل على الأزهار
القمل على حطام الطائرات .

* * *

يخيّل لي أنني أتهاوى على الأرصفه
سأموت عند المنعطف ذات ليله
وأصابعي تتلوّى على الحجارة كديدان التفاح
دون أن ينظر إلي أحد .
انتي أرى نهايتي
ألمح خنجراً ما في الظلام مصوباً إلى قلبي
عربة مطفأه
تقلّ طاولتي وأوراقي إلى عرض الصحراء .
ستهبُ ريحٌ قوية آنذاك
تداعبُ أظافري القصيرة
وتكسُ قصائدي في الشوارع كقشور الخضراوات .
* * *

ومن أنينها العميق
أسمع الضربات الأخيرة لشعبي
أسمع موسيقى الأبواب المخلّعة
وهي تغلق بالحراب
بالأصابع المجلّدة على أطراف الشوارب .
سأتأملُ القدم الغائصة في الوحل
وهي تقلّبُ وجهي على الجانبين
لتعرف من أنا ؟
من هذا الغريب الميت في شوارعنا .
* * *
وعندما تهدأ رثثاي

وتغمضان كعينين جميلتين
وما من جديلة تبعثرها الريح
أو عجوز تلم أطرافي عن التراب
سأبكي بمرارة
وأغض الأرض التي أهانتني
سأغرس أسناني حتى اللثة
في السهول التي شرّدتني
وأترك الأمشاط الحمراء
والنهود المتشابكة كالأغصان في المنفى
وأمي التي تنتظر أويتي من النافذة
كأنني ذبابة أو فراشه .

* * *

سأمرر يدي على خطوط الحافلات
على الأرصفة التي تسكعت عليها
والأبواب الصدئة التي اتكأت عليها
وأسمع قلبي وهو يهتف من أعماق الأرض المذنبة :
أنتقم لبأسك وكفاحك .
تذكر دموعك في باحة المدرسه
وأصابعك التي اهترأت على قبضات الحقائب .
تذكر شقيقاتك النحيلات
وأذنهن المثقوبة بالخيطان
ومت هكذا بين البحر والصحراء
أيها الفلاح الذي له عجرة الملوك .

* * *

يخيلُ لي أنني أكثرُ الأمواتِ كلاماً
لقد جئتُ متأخراً إلى هذا العالمِ
كزائرٍ غريبٍ بعد منتصفِ الليلِ
كان يجبُ أن أُخلَقَ مع أولئك الرومانتيكيينِ القدامى
ذوي اللحى المتهذلةِ
والياقات التي يأكلها العثُ .
أن أعيش في تلك الأيامِ الغابرةِ
سمكةً أو قاتلاً أو فراشه
أقطنُ في غرفةٍ من القرميدِ الأحمرِ
عند أولئك المراهباتِ الشقراواتِ
جواريرها من الأزهارِ
وجدرانها من مناقيرِ البلابلِ وجماجمِ الأطفالِ
أحزمُ كتبِي وأدواتي كالقمحِ خلفِ ظهري
وهراوةٍ في حزامي
وأَمْضي داخلَ الغاباتِ الخضرِاءِ
في الضبابِ والأوحالِ والمستنقعاتِ
أحتسي الخمرِ
وأكل الحشائشِ والطيورِ النائمِ
وأُقذِفُ مع زجاجتي ومحبرتي كل ليلةٍ خارجَ الحاناتِ .

هياح الفار

ليكن وجهي أصفر كوجوه الموتى
فوق ظهري شجرة من الأصابع
شجرة من النار .

هذه شهوتي
سأبعثرها بقدمي
وأصرفُ بفيضها
كما يتصرف المنتصر بأسلابه وأسراه .

لا مدفع ينتظرنني
ولا امرأة تبتسم لي عند الصباح
ماذا أعمل أيام الحرب ؟
أيام الرخاء ؟
قيظٌ وفتوة

وأنهار من الدم والشيب بين فخذي
لا أداعبُ أحداً ولا أقبل أحداً
سيفان مغروسان في الفراش
وأصابع مضمومة كالقلنسوة أمام عيني .

* * *

آه كم أودّ
أن أكلّ النساء بالملاعق
أن أقضمّ أكتافهنّ كالفهد
الزوجاتِ الوحيدات
الزوجاتِ السمراوات
حاملاتِ الحليبِ والخضار
حاملاتِ الأطفالِ والستانير .
* * *

أنا سيدُ الأحلام
وزعيم الأرائكِ الفارغه
أحلم بأصدقاء من الوحل
بأمطار من النار
بجبل هائلٍ من النار فوق ظهري
تجلسُ على سفوحه كلُّ نساء الشرق الجميلات
ذوات الأباط الخليقه
والغدائر الممزوجة بالعطر والتوابل .
أحلم بامرأة صغيرة كالإصبع
هناك في البراري القمرزيه
حيث الأزهارُ ميتة
والعصافيرُ تلمع كالأظافرِ على الأشجار .

الى حنّبة بيت هججول

نامي تحت الأعلام الممزّقه
أيتها الحمامة المنسيه
الوحدُ يتهادى كالأمير
يتألّق على سرجه الذهبي
والشتاء الأخير
ينحني كالمتسول على أقدامك يا بردى .

* * *

اذن سنموتُ على أرض أخرى
ولن تلمحوا دموعنا وأسمالنا ؟
* * *

أيتها العتبه
يا امرأة متدليّة في الشارع . .

في الليل
حيث يجري عبيرك الأصمّ
وتتساقط دموعك الرمادية
أترنّح أمامك كالسكير
أرنو بحسرةٍ إلى الثنوج العاصفه

والنيران التي تضيء لحكم المهاجر .

* * *

أيتها العتبة المستديرة كعين النسر

وأنا أكشط وحل الأيام المريبه

تبدین لي برتقالية وحزينة

و ذات نكهة

شبيهة بنكهة الحقول المزدحمة بالأشلاء

وفي ضوء القمر

أراك متصلبة وناعمه

و ذات عنق ملانكي

يرسل أنغامه الأسنة طوال الليل .

والرجال المشوهون

ذوو القبعات الكنييه

يقرعون جلدك الأسمر المضيء

باحثين عن الوطن

وبراعم القمح المجندلة في الفبار .

* * *

سأضع خذي على رخامك البارد

وأدعّب أصابعك المقهورة طوال الليل

لأسمع خطوات الشتاء الحزينه

وخفقات النهود الرثة أمام المرأة .

سأبكي أمام صدرك النحيل

واضعاً يدي في جيوبي

ولفافتني تضيء العالم .
سألثم المقاعد الفارغه
والمحابر المقلوبة حول جسدك الصغير
أيتها الحبيبة الشماليه
كوني أكثر انحناء
أمام تراجع الأبطال . . يا ساقطه .

* * *

غريبه أنت ومستلقيه بهدوء عند أقدامنا
ولكنك ذليله ومقعمه بالغدر
على لحملك الشفاف
نلمح أحواض الزهور وعربات الأسرى
أيتها المنطويه على نفسها كعازف الناي
لا نريد قمحاً ولا رايات
نريد فقط أن نموت في قرانا البعيده
أن تبعثرنا الريح فوق قرانا البعيده
كالرسائل الممزقه .

* * *

يا عتبتني السمراء المشوّهه
لقد ماتوا جميعاً أهلي وأحبابي
ماتوا على مداخل القرى
وأصابعهم مغروسة كالشوك في الريح .

* * *

لكنني سأعود ذات ليله

ومن غلاصمي
يفور دمُ الترجس والياسمين
لأنعقَ كالغراب بين نهديك الرماديين
بين نهديك المقطوعين خارج الوطن
وأرسلَ نظراتي عبر الغرفة
وعبر جسدك المغطى بالحساء والشاي
سأدوسُ بقدمي رنينك المتواصل
وأثداءك المبعثرة على القمّة .

* * *

لن أقرع الباب أبداً
سأصغي للريح . .
وهي تحملُ تجوى السفن وبكاء العصافير
وهي تحملُ رائحتكم الحبيبه .
لأرى وسادتي

وهي تنزف دمهـا كالطفل
والعيونُ الزرق الحافيه
تبكي مع عيون أخرى
في قاع الفراش
في قاع الوطن .

* * *

سأهجرُكِ أبداً
كما تُهجرُ الجاريةُ في أسفل الوادي
سأمرُّ عليك بعد أعوام

زاحفاً من وراء الغابات
مبقعاً حتى فمي بالماء والجنون
لأنقش اسمك على حديد المدافع .
* * *

اقتربي متي يا صغيرتي
بلا هتاف أو رايات مخضبه
سأجتاز القمة حافياً
إنني مرهقٌ وخجول
وأصابعي منكسة في المقاهي .
بلادي صغيرةٌ وجائعته
وفمي مسيجٌ بالصهيل
أكتب إليها ولا أراها !!
يا صغيرتي . . ليكن جفاؤك عالياً كالنجوم
نحن رصاصُ الانحدار
والمحارمُ الوحيدةُ التي تلتقطُ دموعَ العالم .

النار والجليد

خذ لفافة وصف لي الحرب

خذ رغيفاً وصف لي قدمي .

* * *

أيتها الدموع المسترسلة على الكتف

سأصف لك قوافل الريح والرصاص

لي براءة الحجل ومكر الجزار

ولكنني ظمآن

أكاد أسقط في كل لحظة

انني أبتسم

وفوق ظهري سنم من الدموع .

* * *

أيها الغبار الملكي

ترجّل عن دفاتري الكئيبة

واسمع يا غبار :

أكره الخبز كما أكره السم

أكره الماء كما أكره الطاعون

ولكنني ظمآن وروحي تشتعل . .

ظلمانُ

وروحى معقوفة كالصنبور !!

* * *

يا إلهي . . يا وردة الجليد والغبار !

ثمة جوعٌ منسيٌّ في أفواهنا

ثمة أثداء منسيّةٌ في صدورنا .

أكره البغايا كما أكره السل

أكره العذارى كما أكره الطاعون

ولكنني أقعي ساعات طويلة

تحت المطر وخلف المداخن

علّني الملح رجلاً يقترب من زوجته

أو طفلة تحكّ خصرها أمام المرأة .

* * *

أفكر أحياناً بالنصر والهزيمة

بالأبطال العظام

وهم يرفعون سراويلهم وراء الأسيجه

وهم يتشاءون في دورات المياه !!

ما الفرقُ بين زهرةٍ على المائدة

وزهرةٍ على القبر ؟

بين الحبز والتنك ؟

بين النهد والمطرقة ؟

بين أن يموتَ الإنسانُ على رأس حمله

أو يموت وهو يتبرّزُ متثائباً في إحدى الخرائب ؟ ؟ .

* * *

يا إلهي . . أغصانُ الكَرَزِ تطول
ترسل دمهالعارِي في القاطرات
وعيونُ الماعزِ الخضراء ، تبكي في ضوء القمر .
صيفاً هنا وشتاءً هناك
والطيورُ الملطَّخة بالدم
تتكئُ على بعضها فوق الجثثِ والأظافرِ المدمّاه
ولا نعرف ماذا نعمل
أنحبُّ أم ننام ؟ ؟
أم نضغُ المرايا على مكامن الأبطال ؟ ؟

الدموع

تحت مطر الربيع الحار
أنتقل من مدينة إلى مدينة
وحقائب مليئة بالجراح والهزائم .

* * *

تحت مطر الربيع الحار
أسيرُ يا حبيبتي
وصدرك الشبيهُ بشجرة التفاح العاريه
يظللُّني كدخان القطارات .
لقد ودَّعت الكثيرين
ودَّعت بلادي

وسهولها المحترقة في الليل
هجرتُ رفاقي
والدم ينزف من صدورهم وأنوفهم
ولم أتَهِدْ

كنت أغرّد كاليمامة فوق الجبال
أتشاءبُ في مآتم الشهداء
وأحدق في أنداء الأمهات الشكالي .

* * *

أيتها الطفلة المدببة كالرمح
 لن أنسى ما حييت
 وجهك المغطى بالدموع
 يوم افترقنا على ناصية الشارع
 وأوراق الخريف تتساقط على معطفك الصغير
 ولم تنظري إليّ !!
 كنت تلتفتين إلى الوراء
 عينك مليئة بالدموع
 وشعرك مسترسل كشعر الفرسان المقهورين .
 * * *

هكذا أودك يا حبيتي
 زهرة برية أو يمامة في عنق الريح
 ولكنني يائس حتى الموت
 أتقهقر بلا روية على تلال الخبر
 وأهدابك الجميله
 تنحني على صفحاتي كعبيد في المراكب .
 ولا كلمة للطفلة الغريبه
 للعيون المتدققة كالريح .
 إنني أرى كل شيء
 الأشعة والرعد
 القمر والريح والدماء
 ونوافذ السجون المطفأة عند الغروب
 أرى كل شيء

إلا جديلتك الحبيبتين .

* * *

أود أن أهيم فوق جسدك الصغير

وأسحقه كالورده

أن أرفعه بيدي كبنديّة صغيرة فوق التلال

فأهدني بجواري

أيتها الطفلة الغائبه

الفراش باردٌ ومظلم

ونهداكِ عصفوران من الجمر !!

أربع عيون مغمضة

هل اشتھيت امرأة زرقاء
زرقاء كالريح ؟ ؟
هل تفرست في أصابعها النحيلة ؟
وشعرها المزيّن
بالأسلاك والمطر المهجور ؟ ؟
هل تفرست في لحمها الخائن
وصدرها المحشو بالأقمشة والخطافات ؟ ؟
إنه لحمٌ عاديٌّ ورقيع
كالذي نضربه بالسوط
ونأكله أيام الرعب والمجاعات !!
* * *

المرأة التي أحلم بها
لا تأكلُ ولا تشربُ ولا تنام
إنها ترتعشُ فقط
ترتمي بين ذراعي وتستقيم
كسيف في آخر اهتزازة .
* * *

آه . . أين هؤلاء النسوة الرخيصات
من صبايانا القاسيات الخجولات
حيث لحمهن قاتمٌ ومريح
كسريرٍ من الدمع والمطر
حيث القشُّ والندى والسَّمَاق
يفورُ من حلماتهنَّ
كما يفور الدمُ من الوريد الى الوريد .
* * *

المرأة هناك
شعرها يطول كالعشب
يزهرُ ويتجدد
يذوي ويصفّر
ويرخي بذوره على الكتفين
ويسقطُ بين يديك كالدمع .
* * *

النهدُ هناك
مجهول وغانم كالأحراش
ينفتح أمامك . . كغيمه .
كغيمة يخترقها عصفور .
أينما ذهب في الفضاء الواسع
كرومٌ ونباتٌ وأمطار
حقولٌ ونسيمٌ وشرف
أما هنا

فللمرأة رائحة الدم وعبير المقله
النهدُ هناك صغيرٌ كالزهره
والنهدُ هنا كبيرٌ كالرأس .

* * *

كن وحيداً في الريف
بين القمر والأكوخ
وخذُ فتاتك الخجولة وراء الغدير
تحت شجره
أوغرّافٍ تعشّشُ فيه النجوم والعصافير .
هناك تنفضُ عن نفسها الغبار
تغسلُ وجهها وساقها بالراحتين
تمدُّ لك فراشاً من العشب والخَرَزِ وصُرَرِ الطعام
وتنبضُ بين ذراعيك حتى الصباح
دون أن تلتقي عيناك بعينيها !!
قد تنال منها حتى أحشاءها
دون أن تلتقي عيناك بعينيها !!

بلاء التعبان

عندما نستيقظُ ولا نجد من نحبُ
ونفكر بالأيام الطويلة
التي قضيناها في الحنين والتسكع
وقذف الجوارب المبللة في الزوايا . .
لا نفكر بالحدود الناعمة
وأوراق الشجر في الغابات
ولكننا نفكر بالوحل والدم
بالأستان النخره
والفطائر المقدوفة عن صهوات الجياد

* * *

في الصباح الباكر
حيث الأرض الغائمة والسماء الصفراء
عندما نستيقظ
ولا نجد غير الأرضة الساطعة والبصاق الجاف
حيث الطيورُ الهزيلة
تنطلق في الفضاء الأربد
والعمش يغطي عيونها الصغيرة البرّاقه

وما من وردة على الجليد
أو طائر من الصحراء . . .
لا نفكر بالحق والأسلاف المبعثره
ولكننا نفكر بالريح
بجماعم الأزهار
والقبور التي تنفتح فجأة كالنوافذ .
* * *

في الصباح الباكر
حيث الغدُ خارجة من الفم
وأسنانُ الشتاء الناعمه
تقضم أطراف الغيوم كديدان القز
وما من وردة على الجليد
أو رسالة من الصحراء
والأفق جبال من الشعر والصابون والدم
ليس لنا
إلا احتضان القصائد
وضمها إلى صدورنا كالأطفال .
* * *

لقد هدتنا الأيام يا صغيرتي
بغلايين معبأة حتى الأنف
نبدأ أيامنا
بغلايين استنفد منها حتى الخشب
تنتهي أيامنا .

إلى ماسح الأحذية في الفيضانات
إلى المحطات البعيدة في الزمهرير
أسرع أسرع . . .
المطرينهم ، والطيور هزيلة كالعيدان
أسرع أسرع . .
الثلج ينهمر ، والصحراء البعيدة
تنتظر موزدة الحديد في المنزل .
* * *

نحن الأطفال الكبار
قارعو النهود بالسلاميات
عندما نستيقظ ولا نجد من نحب
وتذكر الحواجب الصغيرة
والنهود الملطخة بالخبر في الشمال
ليس لنا إلا النواح الحزين
القبض على القصائد . . . وخنقها كالعصافير
القبض على الرحم وشده كحلقة الباب
* * *

على الطفل الضاحك
والطفل الحزين
أن ينهض مبكراً كالقراشة
أن يقعي حزيناً على حافة السرير
بخدوده الموردة وأنفه المنطى بالخليب
ويدعو إلى الله أن يعيد الأيام الخوالي

أن يعيدَ الطاولات القديمة
والأصابع الأولى .

* * *

نحن الغرباء
حاملو الحقائق والأوراق المخضبة
لن نعرفَ الشفقةَ إذا سيطرنا
لن نعرفَ الآلهةَ إذا شبعنا
ونحن نتشاءبُ
نحرك عظامَ القصائد
ونحن نضحك
نحرك دموعنا بالدبابيس وناكشاتِ الأسنان .

سماء الحبر الجرداء

ثلاثة رماح تحت المطر . .
ثلاثة رماح في قلبي . .
هذي هي أغنياتى الأخيرة
هذا هو نشيد الانكسار .

* * *

يا طيورى الزرقاء المهاجرة
إنك باردة كالصقيع
تذكرينى بالليل والأنداء المحتقنة في الحريف
بنوافذ القرى المطفأة . .
وبكاء الجنود في المدن الغريبه .

* * *

لقد انتهيت
الدخان يتصاعد من قلبي .
يا سماء الحبر الجرداء
أما من غيمة عابرة ؟ ؟
أما من عزال صغير على سفوح الألم ؟
أنا م على الشوك ، وينامون على الحرير

أكتبُ عن المرأة والنجوم والشهوة
وأعشقُ فضلاتِ الشوارع
لقد سئمْتُكِ يا بيروت
يا سرطاناً من الحرير
لا المرأة ولا الحريه
لا الشرفُ ولا المال
يزيلُ هذا اليأس من قلبي
دعيني أحتضر فوق الجبال
دعيني أرفرفُ كالنسر بين الأقدام .

* * *

وانتم يا أعدائي وأحبابي
يا من تقرؤونني فوق السروج والصفحات
يا من تقتاتون على حزني كالكلاب الضارية
سأقذفُ هذا القلم إلى الريح
سأدفنه كالطائر
بين الثلوج البيضاء
وأمضي على فرسٍ من الخبر
ولن أعود . . .

في يوم غائم

لا أريدُ أن أشكر
ولا أريدُ أن أبتسم
سأضربُ المائدة بسوطني
وأصنع الأبواب خلفي بجنون .
أريد أن أغتني وأهاجر
أن أنهب وأكل وأثور
هذا من حقي
لقد ولدتُ حراً كالآخرين
بأصابعٍ كاملةٍ ، وأضلاعٍ كاملة
ولكنني لن أموت
دون أن أغرق العالم بدموعي
وأقذف السُّفُنَ بقدمي كالحصى .
* * *
ولدتُ عارياً ، وشبَّيتُ عارياً
كالرمح
كالإنسان البدائي
سأنزِعُ جلود الآخرين وأرتديها

سأنزع جلود السحب والأزهار والعصافير
وأرتديها
محتمياً بالضباب والأنين
بالأعلام الممزقة ، والأثداء الملفوفة بالجوارب
إذا كان لا يريد أن يرافَ بي
أن يشبعني التبغ والنساء
وجلد الخيول في المنحدرات
لماذا خلقتني ؟

وهل كنت أوقضه بسبباتي كي يخلقني ؟
* * *

كل امرأة في الطريق هي لي
كل نهد وكل سرير
هو لي . . لعائلتي ، لرفاقي الجائعين
طلما لنا شفاء وأصابع كالآخرين
ودماء فوارة كالآخرين
يجب أن نأكل ونحب ونهجر
ونقذف فضلات الأثداء خلف ظهورنا .
* * *

ليكف عن تعذيبنا كالصراصير
لينزع رحمته عن أكتافنا
كما تنزع الأوسمة عن الخائن
ساعة أستلقي وحيداً في ليالي الشتاء
في ليالي الصيف

غانصاً في فراشي النتن
وقد ماي بارزتان كنتاجي الفيل
وأفكر بالملايين المعذبة
بالزلازل والطغيان
بالأزهار المسلوقه
وخشخشة رسائل الغرام في الصحارى
ساعة أمء رأسي من النافذه
والمح المطر ، والنهود التي يغطيها العشب
والشعراء الموتى مبعثرين على الثلوج البيضاء
أتمنى أن أمسك هذه الأرض من جلدها
وأقذفها كالهرة من النافذة .

* * *

ولكنني وأنا أحتضر
وأنا أسبح في قبري كالمحراث
سأموت وأنا أتشاءب
وأنا أشتم
وأنا أهرج
وأنا أبكي . . .

النسور العالية تفترق بغضب

لأن ما كُتِبَ قد كُتِبَ
وما يجبُ أن يقالَ قد قيل
أنت للشارع
وأنت للنار
يا أشعارَ المنفى يا أجراسَ العار
إن لك رائحةَ الشياب العتيقه
ورائحة الضماداتِ المنزوعةِ بغضب
أين عرقُ الأصابع ولزوجةُ الصيف ؟
أين الغضبُ والجنون
وتلك الضربات القاتلةُ في الصدغين ؟
أأنتِ جراحِي وآلَمِي ؟
أأنتِ عرباتِ الرياح . . وأسنانُ المطر ؟
إنكِ لستِ إلا بضعَ أَقَاتِ
من الحبر والكسل والفوضى
أقذفكِ في وجه الرمال السافية كورقِ اللعب
ولكنك خاسرةٌ أبداً !!

* * *

أيتها النسور المهلهلة
هل أظليكِ بالمراهم ؟
كانت حروفك جميلة ونضرة
تستيقظُ منذ الصباح
تضرب أصابعي بمناقيرها كالعصافير
تلهثُ على السطور المنحنية ككلاب الصيد .
وها هي الآن
هزيلة وناعسة
كعيونٍ تغطّيها مناتُ الحواجب .
* * *

سيدي الشعر . .
هذه الآلام . . هذه الدموعُ اليابسة
والتي يمكن تحطيمها كالدُّحل على الأرصفة
هذه الدموعُ المحفوظة من شتاءٍ إلى شتاء
ومن خريفٍ إلى خريف
كخواتم العشاق الموتى . .
ليست هي ما أريد
لأنها دموعُ كاذبة
دموعُ مدراره
لصقناها بقوة الرصاص على خدودنا
إليّ أيتها الكلمات الدّميمة
فلن نلفظَ أنفاسنا تحت النجوم
ولن تكونَ دموعنا سماداً لأزهار الآخرين

سنقوم برحلة ملكية إلى الشرفه
سأطلقك عالياً في الفضاء
كما تطلقُ العجربةُ زغاريدها في الغابات .
* * *

خبني جراحك
بين القوادم وتحت عضلة الذيل
وحلّقي بغضب
كغيوم لا أرجل لها
كغيوم تشمئزُّ منها البحار .
* * *

ثم اسقطني بهدوء . . كالمناديلِ الحريرية
كأنك في سبات عميق
ولتكن أرجلك حافية ومهملة
كأرجل البدو
مقلوبة إلى أعلى كطفل ضُربَ على يده .

الفرح ليس مهنتي

من العتبة إلى السماء

الآن
والمطرُ الحزين
يغمُرُ وجهي الحزين
أحلم بسلمٍ من الغبار
من الظهورِ المحدودِ به
والراحتِ المضغوطةِ على الركب
لأصعدَ إلى أعالي السماء
وأعرف
أين تذهبُ آهاتنا وصلواتنا ؟
آه يا حبيبتِي
لا بد أن تكون
كل الآهاتِ والصلوات
كل التهنيداتِ والاستغاثات
المنطلقة
من ملايين الأفواه والصدور
وعبر آلاف السنين والقرون
متجمعةً في مكانٍ ما من السماء . . . كالفيوم

ولربما
كانت كلماتي الآن
قربَ كلماتِ المسيح
فلتنتظر بكاء السماء
يا حييتي

منذ أن خُلِقَ البردُ والأبواب المغلقة
وأنا أمدّ يدي كالأعمى
بحسّاً عن جدار
أو امرأةٍ تؤويني
ولكن ماذا تفعل الغزاةُ العمياء
بالنبيع الجاري ؟
والبلبلُ الأسير
بالأفق الذي يلامسُ قضبانه ؟

في عصر الذرة والعقول الالكترونية
في زمنِ العطر والغناء والأضواء الخافته
كنتُ أحدثُها عن حذاء البدو
والسفر إلى الصحراء
على ظهور الجمال
ونهداها يصغيان إليّ
كما يصغي الأطفال الصغار
لحديثٍ ممتعٍ حول الموقد

كنا نحلم بالصحراء
كما يحلم الراهب بالمضاجعة
واليتيم بالمزمار
وكنت أقول لها وأنا أرسل
نظراتي إلى الأفق البعيد .
هناك تتكئ على الرمال الزرقاء
وننام صامتين حتى الصباح
لا لأن الكلمات قليلة
ولكن لأن الفواشات المتعبة
تنام على شفاهنا .
غداً يا حبيبتني غداً
نستيقظ مبكرين
مع الملاحين وأشرعة البحر
ونرتفع مع الريح كالطيور
كالدماء عند الغضب
ونهوي على الصحراء
كما يهوي القم على الفم

ونمنا متعانقين طوال الليل
وأيدينا على حقائبنا
وفي الصباح أفلّغنا عن السفر
لأن الصحراء كانت في قلبينا .

الغدي الملعب

بدون النظر إلى ساعة الحائط
أو مفكرة الجيب
أعرف مواعيد صراخي .
وأنا هائم في الطرقات
أصافح هذا وأودعُ ذاك
أنظر خلصةً إلى الشرفاتِ العاليه
إلى الأماكن التي ستبلغها أظافري وأسناني
في الثوراتِ المقبلة
فأنا لم أجمع صدفه
ولم أتشرد ترفاً أو اعتباطاً
« ما من سنبله في التاريخ
إلا وعليها قطرةٌ من لعابي » .

أعرفُ أن مستقبلي ظلام
وأنياي شموع
أعرف أن حد الرغبة
سيغدو بصلابة الخنجر

وأن نهرَ الجائعين سوفَ يهدرُ ذاتَ يومٍ
بأشرعته الداميه
وفرائصه الغبراء
فأنا نبيٌّ لا ينقصني إلا اللحية والعكاز والصحراء
ولكنني سأظلُّ شاكي السلاح
في « قادية العجين »
في « واترلو الحساء » التي يخوضها العالم
هكذا خلقتني الله
سفينةً وعاصفه
غابةً وحطابا
زنجياً بمختلف الألوان كالشفق ، كالربيع
في دمي رقصة الفالس
وفي عظامي عويلُ كربلاء
وما من قوة في العالم
ترغمني على محبة ما لا أحب
وكراهية ما لا أكره
مادام هناك
تبعٌ وثقابٌ وشوارع . . .

خريف الأقنعة

أيها الماره
إخلوا الشوارع من العذارى
والنساء المحجبات . . .
سأخرج من بيتي عارياً
وأعود إلى غابتي .

محال . . محال
أن أتخيّل نفسي
إلا نهراً في صحراء
أو سفينة في بحر
أو . . قرداً في غابه
يقطف الثمار الفجّه
ويلقي بها على رؤوس الماره
وهو يقفز ضاحكاً مصفقاً
من غصن إلى غصن .

أنا لا أحمل هويّة في جيبي

ولا موعداً في ذاكرتي
أنا لم أجلس في مقهى
ولم أتسكع على رصيف
أنا طفل
ها أنا أمدُّ جسدي بصعوبه
لأدفن أسناني اللبنيّة في شقوق الجدران
أنا شيخ
ها ظهري ينحني
والمارة يأخذون بيدي
أنا أمير
ها سيفي يتدلّى
وجوادي يسهلُ على التلال
أنا متسوّل
ها أنا أشحذ أسناني على الأرصفه
وألحقُ المارة من شارع إلى شارع
أنا بطل . . أين شعبي ؟
أنا خائن . . أين مشتقتي ؟
أنا حذاء . . أين طريقي ؟

سلمية

سلمية : الدمعة التي ذرفها الرومان
على أول أسير فك قيوده بأسنانه
ومات حينئذ إليها .
سلمية . . الطفلة التي تعثرتُ بطرف أوروبا
وهي تلهو بأقراطها الفاطمية
وشعرها الذهبي
وظلّت جاثيةً وبأكيةً منذ ذلك الحين :
دميتها في البحر
وأصابعها في الصحراء .

يحذّرها من الشمال الرعب
ومن الجنوب الحزن
ومن الشرق الغبار
ومن الغرب . . الأطلال والغريان
فصولها متقابلةً أبداً
كميون حزينّة في قطار .
نوافذها مفتوحة أبداً

كأفواه تنادي . . أفواه تلبى النداء
في كل حفنة من ترابها
جناح فراشة أوقيد أسير
حرفاً للمتنبى أو سوط للحجاج
أسنان خليفة ، أو دمعته يتيّم
زهورها لا تتفتح في الرمال
لأن الأشرعة مطوية في براعمها
لسنابلها أطواق من النمل
ولكنها لا تعرف الجوع أبداً
لأن أطفالها بعدد غيومها
لكلّ مصباح فراشه
ولكل خروف جرس
ولكلّ عجوز موقد وعباءة
ولكنها حزينة أبداً
لأن طيورها بلا مأوى

كلما هبّ النسيم في الليل
ارتجفت ستائرهما كالعيون المطروفة
كلما مرّ قطار في الليل
اهتزت بيوتها الحزينة المطفأه
كسلسلة من الحقائق المعلقة في الريح
والنجوم أصابع مفتوحة لالتقاطها
مفتوحة - منذ الأبد - لالتقاطها .

الحصار

دموعي زرقاء
من كثرة ما نظرتُ إلى السماء وبكيت
دموعي صفراء
من طول ما حلمتُ بالسنا بل الذهبية
وبكيت

فليذهب القادةُ إلى الحروب
والعشاقُ إلى الغابات
والعلماءُ إلى المختبرات
أما أنا
فسأبحث عن مسيحةٍ وكُرسيٍّ عتيق . . .
لأعود كما كنت ،
حاجباً قديماً على باب الحزن
ما دامت كل الكتب والدساتير والأديان
تؤكدُ أنني لن أموت
إلا جائعاً أو سجيناً

المصنف العجدي

على هذه الأرضة الحنونة كأمي
أضع يدي وأقسم بليالي الشتاء الطويلة ،
سأنتزع علم بلادي عن ساريتي
وأخيط له أكماماً وأزراراً
وأرتديه كالقميص
إذا لم أعرف
في أيّ خريف تسقط أسمالي .
وإنني مع أول عاصفة تهبّ على الوطن
سأصعد أحد التلال
القريبة من التاريخ
وأقذف سيفي إلى قبضة طارق
ورأسي إلى صدر الخنساء
وقلمي إلى أصابع المتنبي
وأجلس عارياً كالشجرة في الشتاء
حتى أعرف متى تنبت لنا
أهدابٌ جديدة ، ودموعٌ جديدة
في الربيع ؟

وطني أيها الذنب الملوي كالشجرة إلى الوراء
إليك هذه «الصور الفوتوغرافية»
للمناسف والاهراءات
وهذه الطيور المفردة ، والأشعة المسافره
على «طوايح البريد»
إليك هذه الجحافل المنتصره
والجياذ الصاهلة على الزجاج المعشق
ووير السجاد
إليك هذه الأظافر المدخره
في نهاية الأصابع كأموال اليتامى
بها سأكشطُ خطواتي عن الأرصفه
سأبتر قدمي من فوق الكاحلين
وألقي بهما في الأنهار
في صناديق البريد
وأظل أقفزُ كالجندب
حتى يعود عهد القروسية
والانذار قبل الطعنه .

بدوي يبحث عن بلاد بدوية

أيها الفراش البارد والمظلم كالزقاق
آه كم أتمنى لو أشجك بفأس
أين الشفاء التي قبلتها ؟
والنهود التي داعبها ؟
كأنَّ القدرَ يصوبُ مسدساً إلى ظهري
ويسلبنى كلَّ شيء في وضوح النهار .

آه كم أتمنى . . لو أستيقظ ذات صباح
فأرى المقاهي والمدارس والجامعات
مستنقعاتٍ وطحالبٍ ساكنه
خياماً تنبج حولها الكلاب
لأجدَ المدن والحدائق والبرلمانات
كثباناً رملية
أباراً ينتشل الأعراب ماء هم منها بالدلاء .

آه كم أتمنى لو أكونُ في هذه اللحظة
محموماً في قرية بعيدة

على سريرٍ غريب
وتحتَ سقفٍ غريب
وامرأة عجوز لم تقع عيناي عليها من قبل
تسألني ،
وهي تعصرُ منديلها المبلل فوق جبيني :
من أي بلاد أنت يا بني ؟
فأجيبها والدموعُ تملأُ عيني :
آه يا جدتي

أمير المطر، وحاشية من الغبار

١ - الشبح الصغير

أنت يا من تداعبُ خيوط المطر
كالنساج الأعمى
وتتلمسُ بقايا الجدول الزرقاء
كضربٍ يتعرّف على ملامح أحفاده
من أنت ؟
أيتها الشوارع
أيتها الحانات
من هذا الشبح الراقد على الأرصفة
والنمل
يتجاذبُ مسبخته ومنديله
وخصلات شعره ؟
- انه بردى -
- بردى ؟ -
لا أذكر أماً أو صديقاً بهذا الاسم
أهو صندوق أم جدار ؟

- مولاي

انه بردى . . .

النهر الذي ترافقه الزهور العطشى

من تبعه إلى مصبّه

- ليراجفني غداً

في مكتبي القائم بين الأرصفه

علّني أجد له ميّماً بحرياً

أو سحابةً شمطاء تتبناه

- مولاي

انه ليس متسولاً يا مولاي

انه بردى . . .

بردى الألفج الصغير

كَبُرَ وشبّ

واهترأتْ مريئتهُ الخضراء على صدره

ولم يعدْ يغدر مجراه

حتى في الليالي المقمره

حتى في أيام العُطل والآحاد

انه يعتذر عن جريانه القديم . . .

يضمُّ راحتيه إلى صدره

ويفتحهما باكياً ، كالراهبة المقتصبه

من أجل سفينةٍ ورقيه

أوسنّونو . . يرشف ماءه ويطير!

- ليكنْ

لقد وهبه الله
كل ما يحلم به نهرٌ صغير
من الطبقة المتوسطة
الوحل والبعوض والريبع
ولكنه أتى على كل شيء
في حقبةٍ واحدة
أزوع مطرٍ في التاريخ
أجمل سحب الشرق العاليه
بدّدها على الغرغرة وغسل الموتى
ليراجعني غداً
في مكتبي القانم بين الرياح
وطلب الاسترحام
ملصوقاً على ضفتيه
ان جلد النسر المعلق على الحائط
لا يثيرُ شفقتي
بل يذكّرني
بدم أشلائه وصرخات ضحاياه

٢- الشبح الكبير

وأنت يا جدتي الحزينه
ماذا تفعلين في مثل هذه الساعه
بملاء تك المرقعة وسالفك الأشيبين ؟
هل أضعت مسبحتك
وأنت تنقلينها من جيب إلى جيب ؟
أم طردك أحفادك
وأنت منهمكة في القيل والقال ومضغ المخللات ؟
أيتها الأرض
أيتها السماء
من هذه العجوز الجامدة عند المنعطف ؟
والبعوض يحوم فوق رأسها
كأنه مصباح أو مستنقع !!
إنها لا تسأل ولا تجيب
وإنما تهز رأسها يمينه ويسره
وهي تعلق حجابها المبلل بالدمع .
- انها دمشق
- دمشق ؟ لا أعرف أماً أو شقيقة بهذا الاسم
أهي خزانة أم مطرقة أم مرآة ؟
- انها مدينتك يا مولاي
- مدينتي ؟ لا مدينة لي سوى جيوبى
- مدينتك وطنك . .

- وطني ؟ لا وطن لي
سوى هذه البقع والخربشات على الخرائط
وهذا الدخان الذي أنفثه من
شفتي كل لحظة . .

- بلى يا مولاي
تذكر الحواري الضيقة وأشباح المقابر
لحم الجمل وأزهار اللوز
تذكر الصباحات الباردة
والأيدي المحمرة من صفع المساطر
وإبر الجدات المستآت .

- بلى . بلى
تذكرتها
دمشق المناسف والاهراءات
دمشق البيضة المسلوقه
والرغيف المطوي « بعناية » في حقيبة المدرسه
دمشق الخيول الجامحه
والسفن التي تسد وجه الأفق
دمشق الغبار
والدراجة المسنودة على الحائط
دمشق النجوم والمشاعل المضاءة على ذرى الأورال
دمشق الليل . . والقنديل المطفأ بالشفقتين
دمشق الحذاء والختاجر الممسوحة برايات كسرى
دمشق التأتأه

والبصمات الممسوحة بالركب وقوائم الطاولات .
دمشق المنتصبة على شواطئ الأطلسي
دمشق المحدوده أمام الصنبور
دمشق الوحل ، النجوم ، فقاقيع الحمى
أشلاء الخوار
اضربوها بالحجاره
دعوا الأطفال يتحلّقون حولها
وألستهم ناتئة من بين الأسنان
ليعلّقوا في ملاءتها صفائح التنك
وهم يرقصون ضاحكين هازنين
عندما انتزعوني من سريري الغافي ،
وأنا أغطّ كفراشة على زهرة
ورحتُ أنبض آلاف السنين
كحشرة مقلوبة على ظهرها
تشبّثتُ بجدرانها
بحلقات أبوابها
بلحى شيوخها وأنداء نساؤها
وأنا أنظر إليها باكية متوسلاً
كما كان العبد المطوق بالحراب
ينظر إلى أمه الطبيعيه .
قلت لها عطشانُ يا دمشق
قالت : اشرب دموعك
قلت لها : جوعانُ يا دمشق

قالت : كلْ حذائي .

- وماذا قلت لها

- لا شيء

أطرقتُ في الأرصفة وبكيت .

- والآن

- والآن قولوا لها ان الأغنية التي غادرتُ حنجرتها

قبل آلاف السنين

قد يلفتُ حافةَ القيثارة

وأن الأصابع التي كانت تُبْتَر

مع الأغصان الزائده

عن أسوار الحصون والقلاع

تتجمّع الآن على هوامش الصفحات

تجمّع البحارة على الشواطئ

قولوا لها كلّ شيء يا رجال

باسم الآباء والأجداد

باسم القطط والكلاب

ولكن ليس باسمي

سأظلّ مع القضايا الخاسرة حتى الموت

سأظلّ مع الأغصان الجرداء حتى تزهر

مع دمشق القديمة كملامحي

مع العتبات الرطبة

والسعال المصطنع قبل دخول الأبواب

كيف أهجرها

وقد ماي منفردتان في أرضتها
كنايين في لغة
كيف أنساها
وقد تركت آثارها على جلدي وصفحاتي
كما يترك التبغ آثاره على الأصبعين :
كما يطلُّ النسر على فراخه
كنت أطلُّ على أرضتها كل صباح
ما من حصاة في الطريق
إلا وقذفتها بقدمي
ما من صنوبر في حاراتها الضيقة
إلا وشربت منه بفمي
ما من حارس ليلي أو بائع صبار
في لياليها القمره
إلا وسامرته وسامرني
ما من مزلاج في أبوابها العتيقه
إلا وداعبته بجبهتي وأصابعي
ولكن ما من باب مغلق
فتح ذات ليله
وقال أهلاً أيها الغريب
اضربوها بالسياط
اطردوها من الأبواب
والكتب والحانات والأعراس والمآتم
وأغلقوا في وجهها كل أبواب العالم

لتظللّ وحيدة كالريح . . . كالله
ولكن
اسملوا عينيّ قبل أن تفعلوا ذلك
إنني أحبُّها يا رجال
ولن أخونها
ولو ذرقت الكسور الدورية للدموع .

الظل والعجيب

كلُّ حقولِ العالمِ
ضدَّ شفتينِ صغيرتينِ
كل شوارع التاريخِ
ضدَّ قدمينِ حافيتينِ

حبيبتِي
هم يسافرون ونحن ننتظر
هم يملكون المشانق
ونحن نملك الأعناق
هم يملكون اللآلئ
ونحن نملك التَّمَشَّ والتوالييل
هم يملكون الليل والفجر والعصر والنهار
ونحن نملك الجلد والعظام .

نزرعُ في الهجير ويأكلون في الظل
أُسنانهم بيضاء كالأرز
وأُسناننا موحشة كالغابات

صدورهم ناعمة كالحرير
وصدورنا غرباء كساحات الاعدام
ومع ذلك فنحن ملوك العالم :
بيوتهم مغمورة بأوراق المصنفات
وبيوتنا مغمورة بأوراق الخريف
في جيوبهم عناوين الخونة واللصوص
وفي جيوبنا عناوين الرعد والأنهار
هم يملكون النوافذ
ونحن نملك الرياح
هم يملكون السفن
ونحن نملك الأمواج
هم يملكون الأوسم
ونحن نملك الوحل
هم يملكون الأسوار والشرفات
ونحن نملك الحبال والخناجر
والآن ،
هيا لننام على الأرضة يا حبيبتى .

خوف ساهي البرد

أيها السجناءُ في كل مكان
ابعثوا لي بكلّ ما عندكم
من رعب وعويل وضجر

أيها الصيادون على كل شاطئ
ابعثوا لي بكلّ ما لديكم
من شباك فارغة ودوار بحر

أيها الفلاحون في كل أرض
ابعثوا لي بكلّ ما عندكم
من زهورٍ وخِرَقٍ باليه
بكل النهود التي مُرِّقَت
والبطون التي بَقِرَت
والأظافر التي اقْتُلِعَت
إلى عنواني . . في أي مقهى
في أيّ شارع في العالم
إنني أعدّ « ملفاً ضخماً »

عن العذاب البشري
لأَرْفَعَهُ إِلَى اللَّهِ
فور توقيعه بشفاء الجياع
وأهداب المنتظرين
ولكن يا أيها التعساء في كل مكان
جُلِّ ما أخشاه
أن يكون الله «أُمَيَّاً»

أيها السائح

طفولتي بعيدة . . . وكهولتي بعيدة . . .
وطني بعيد . . . ومنفاي بعيد
أيها السائح
أعطني منظارك المقرب
علّني الملح يداً أو محرمةً في هذا الكون توميء إليّ
صورني وأنا أبكي
وأنا أقعي بأسمالي أمام عتبة الفندق
وأكتبُ على قفا الصورة :
هذا شاعرٌ من الشرق .

ضع منديلك الأبيض على الرصيف
واجلسْ إلى جانبي تحت هذا المطر الحنون
لأبوح لك بسر خطير :
اصرفْ أدلاءك ومرشدك
والقِ إلى الوحل . . إلى النار
بكل ما كتبت من حواشٍ وانطباعات
إن أيّ فلاح عجوز

يروى لك « بيتين من العتابا »
كل تاريخ الشرق
وهو يدرج لفافته أمام خيمته .

واجبات منزلية

وأنا في خريف العمر
والشيخوخة البيضاء بدأت تمسُّ جبیني
كالياسمين الدمشقي عند كل منعطف
من يُولينني اهتمامه ؟
أديري قرص الهاتف يا حبيبتي
واطلبي ، مزيداً من الرعب والعذاب
لم أعد أبالي
مستقبلي في قبري
وجمهوري الوحيد هو ظلي
في الطريق اليه
لا
اطلبي لي كوفيةً وعقالاً
وصحراء لا حدود لها
لأعود إلى الماضي
وأحضر ملفاً دموعي ورقم خدي
لا
اعطيني هويتي ودفتر عناويني

وجواز سفري
سأصقها حول جبيني
وأجلس متربحاً وسط المدينة
كزعيم إحدى القبائل المتوحشة
وأبادلها بالخرز والمرايا الملونة
لا اغرسي كلابةً في شفتي السفلى
وجريني كالجثة النافقة
إلى ضواحي المدينة
ودحرجيني في أحد الوديان .
وإذا ما لمحك علمٌ بلادي المختال
فوق ساريته
اعبري بسرعه
كالمدين أمام حانوت مُدينه .

بعد تفكير طويل

انزعوا الأرصنه
لم تعد لي غاية أسعى إليها
كل شوارع أوروبا
تنسكعها في فراشي
أجمل نساء التاريخ
ضاجعتن وأنا ساهم في زوايا المقهى

قولوا لوطني الصغير والجرح كالنمر
انني أرفع سبائتي كتلميذ
طالباً الموت أو الرحيل
ولكن
لي بدمته بضعة أنا شيد عتيقه
من أيام الطفوله
وأريدها الآن
لن أصعد قطاراً
ولن أقول وداعاً
ما لم يُعِدّها إلي حرفاً حرفاً

ونقطة نقطه

وإذا كان لا يريد أن يراني
أو يأنف من مجادلي أمام الماره
فليخاطبني من وراء جدار
ليضعها في صُرَّة عتيقة أمام عتبه
أو وراء شجرة ما
وأنا أهرع لالتقاطها كالكلب
ما دامت كلمة الحرية في لفتي
على هيئة كرسيٍّ صغيرٍ للاعدام .
قولوا لهذا الثابت الممدد حتى شواطئ الأطلسي
إنني لا أملكُ ثمن المنديل لأرثيه
من ساحات الرّجم في مكه
إلى قاعات الرقص في غرناطه
جراح مكسورة بشعر الصدر
وأوسمة لم يبقَ منها سوى الخطافات
الصحاري خالية من الغريبان
البساتين خالية من الزهور
السجون خالية من الاستغاثات
الأزقة خالية من الماره
لاشيء غير الغبار
يعلو ويهبط كندي المصارع
فاهربي أيتها الغيوم
فأرصفه الوطن
لم تعد جديرة حتى بالوحل .

كل العيون نحو الأفق

مذ كانت رائحة الخبز
شهية كالورد
كرائحة الأوطان على ثياب المسافرين
وأنا أسرّح شعري كل صباح
وأرتدي أجمل ثيابي
وأهرع كالعاشق في مواعده الأول
لانتظارها
لانتظار الثورة التي يبست
قد ماي بانتظارها

من أجلها
أحصي أسناني كالصيرفي
أداعبها كالعازف قبل فتح الستار
بمجرد أن أراها
والمح سوطاً من سياطها
أو رصاصة من رصاصاتها
سأضع يدي حول فمي

وأزغرد كالنساء المحترفات
سأرتقي على صدرها كالطفل المذعور
وأشكو لها
كم عذبني الجوع وأذلّني الإرهاب

وفي المساء
سأخذها إلى الحواري الضيقه
والريف المصدور
سأجلسُ وإياها تحت مصابيح الشارع
وأروي لها كل شيء
بفمي وأصابعي وعيني
حتى يدبّ النعاس في أجفانها
وتغفو رويداً رويداً
كالجدة أمام الموقد
ولكن
إذا لم تأتِ
سأعصُ شراييني كالمراهق
سأمدُّ عنقي على مداه
كشحرورٍ في ذروة صداحه
وأطلبُ من الله
أن يبيدَ هذه الأمة .

في الليل

هناك نحلٌ . . وهناك أزهار
ومع ذلك فالعَلَقَمُ يملأ فمي .
هناك طُرفٌ وأعراسٌ ومهرجون
ومع ذلك فالنحيبُ يملأ قلبي .

أيها الحارسُ العجوزُ يا جدي
أعطني كلبك السلوقي لأتَعَقَّبَ حزني
أعطني مصباحك الكهربائي
لأبحث عن وطني .
من أزقة طويلة كسياط أجدادي
آتي إليك ،
والاستغاثاتُ مصطَفَّةٌ في حنجرتي كالمجاذيف
لأشكو لك الغبارَ والجماهير
الليلَ والزهورَ والموسيقى
لأشكو لك ذلك الرصيف :
ما إن شرعت بقصتي
حتى انسل بين الأزقة كالأفعى

وتركني وحيداً . . . وقدماي
تهتزّان في الهواء كقدميّ المشنوق
ولذا جئتُك مرفرفاً بيدي كالخفاش
لا أعرف أين أمضي هذه الليلة
وكل ليلة
الأرضة التي أعبرها
تلفظُ خطواتي كالدواء المرّ
الجدران التي ألمسها
ترتعشُ تحت أصابعي كالشفاه قبل الزئير
أحسد المسمار
لأن هناك خشباً يضمُّه ويحميه
أغبطُ حتى الجثث الممزقة في الصحراء
لأن هناك غرباناً ترفرفُ حولها وتنعقُ لأجها
آه يا جدي
لقد اشتقتُ للظلم للارهاب
للتعلّق بالأغصان بالشاحنات
للتمسك بأي شيء
ولو بقضبان السجون

إنني لستُ ضائعاً فحسب
حتى لو هويتُ عن أريكتي في المقهى
لن أصل إلى سطح الأرض بآلاف السنين .

اليتيم

آه

الحلم . . .

الحلم . . .

عريت الذبيبة الصلبه

تحطمت ، وتفرّق شملُ عجلاتها كالغجر

في كل مكان

حلمت ذات ليلة بالربيع

وعندما استيقظت

كانت الزهور تغطي وسادتي

وحلمت مرةً بالبحر

وفي الصباح

كان فراشي مليئاً بالأصداف وزعانف السمك

ولكن عندما حلمت بالحرية

كانت الحراب

تطوق عنقي كهالة المصباح .

. . . فلن تجددوني بعد الآن

في المرافئ أو بين القطارات

ستجدونني هناك . . . في المكتبات العامة
نائماً على خرائط أوروبا
نومَ اليتيم على الرصيف
حيث فمي يلامس أكثر من نهر
ودموعي تسيل من قارةٍ إلى قاره .

الوشم

الآن
في الساعة الثالثة من القرن العشرين
حيث لا شيء
يفصل جثث الموتى عن أحذية المارة
سوى الاسفلت
سأتكى في عرض الشارع كشيوخ البدو
ولن أنهض
حتى تجمع كل قضبان السجون وإضبارات المشبوهين
في العالم
وتوضع أمامي
لألوكلها كالجمل على قارعة الطريق . . .
حتى تنفر كل هراوات الشرطة والمتظاهرين
من قبضات أصحابها
وتعود أغصاناً مزهرة « مرة أخرى »
في غاباتها
أضحك في الظلام
أبكي في الظلام

أكتبُ في الظلام
حتى لم أعدُ أُمَيِّزُ قلمي من أصابعي
كلما قُرِعَ بابٌ أو تحرَّكتْ ستاره
سترتُ أوراقِي بيدي
كبغْيٍ ساعةَ المداهمه

من أورثني هذا الهَلَعُ
هذا الدم المذعور كالْفهد الجليي
ما ان أرى ورقةَ رسمِيَّةٍ على عتبه
أو قُبعةً من فرجة باب
حتى تصطلكُ عظامي ودموعي ببعضها
ويقرّ دمي مذعوراً في كل اتجاه
كأن مقرزةً أبديةً من شرطة السلاّات
تطارده من شريان إلى شريان

آه يا حبيبتِي
عبثاً أُستردُّ شجاعتي وبأسي
المأساة ليست هنا
في السوط أو المكتب أو صفارات الانذار
إنها هناك
في المهد . . . في الرّحم
فأنا قطعاً

ما كنتُ مربوطاً إلى رَحْمي بحبل سرّه
بل بحبل مشنقه .

الخلاصة

الاسم : حشره
اللون : أصفر من الرعب
الجبين : في الوحل
مكان الإقامة : المقبرة أو سجلات الإحصاء
المهنة : نخاس
البضاعة : رمال ذهبية وسماء زرقاء
عواصف ثلجيه
وشواطئ متعرجة لا يحدّها البصر
لارهاق الملاحين ومصممي الخرائط

عندي غبارٌ للقري
رمدٌ للأطفال
وحولٌ للأزقة
وحجارةٌ لصنع التماثيل وقمع المظاهرات

عندي آباء للتذمر
أمهاتٌ للحنين

أرصفةُ لبيع الزهور
وغاباتُ لصنع السفنِ والقباييبِ وسواري الأعلام

عندي ثلجٌ للعصاير
وخريفٌ للغابات
سعالٌ للأزقه
ونوافذُ عالية لمناداةِ الباعة ، للاستغاثات .
عندي كل شيءٍ أيها السادة
نسور أعقاب سجاير
نشارة خشب
صفائح فارغه
وعندي . . . شعوب
شعوب هادئةٌ وساكنةٌ كالأدغال
يمكن استخدامها
في المقاهي والحروب وأزمات السير
أسرعوا أيها السادة
ها هو الليلُ يقترب
وعليَّ أن أنهي صفقتي
قبل غياب الشمس
أخرجوا محافظكم ولا تخيفنكم أسعاري ؛
كلُّ الفتوحات العربية
مقابل « سرير »
كل نجوم الشرق

مقابل عود ثقاب
لأهتدي إلى أقرب حصاة
أو مسمار في هذا الوطن
أغرسه في صدري كمنقار البجعه
وأهوت .

الخوف

أُمِّي . . .
يا ذات النهد الملون كالأكواخ الافريقيه
أسرعي لنجدتي
تعالِي وخُثِّيني في جيبكِ الرِيقِي العميق
مع الابِرِ والخيطان والأزرار
فالموتُ يحيقُ بي من كل جانب
السماءُ تظلم
والريحُ تصفّرُ
والكلابُ السوداء
تنهشُ الكتب الدامية من حقائب الماره
وأخشى في هذه الأيام المكفهره
أن أستيقظ ذات صباح
فلا أجدُ طائراً على شجره
أو زهرةً في جديله
أو صديقاً في مقهى
أن أوثق ذات صباح
إلى المغسلة أو عمود المدفأه

ليدرزّتي الرصاص
والفرجون في فمي .
أتوسّل إليك أن تسرعي يا أُمي
وأن تعرّجي في طريقك
على الحصادين ومضارب البدو
وتسألهم عن « حجاب » جلدي
عن « عشبة » ما
تقيني هذا الخوف :
أدخلُ إلى المرحاض وأوراقِي الثبوتيةُ بيدي
أخرج من المقهى وأنا أتلّفُ يمينه ويسرة
حتى البرعم الصغير
يتلفت يمينه ويسرة قبل أن يتفشّح

آه يا أُمي
لو أن هتلر بقي رساماً
وماركس قضي في خناق الطفولة
لو أن لويس السادس عشر
كان أكثرَ فحولةً وبطشاً
وماري أنطوانيت أقلَّ فتنة وكبرياء،
لو كانت قلاع الباستيل على ذرى قاسيون
ووحل باريس على أرصفة دمشق
لو كان الشرق هشيماً
والريخُ أكثرَ قوّةً وذكاءً

عندما احترقت روما
آه يا أمي
لو كانت الحرية ثلجاً
لنمت طوال حياتي بلا مأوى

مسافر عربي في هطحات الفضاء

أيها العلماء والفتيون
أعطوني بطاقة سفر إلى السماء
فأنا موفدٌ من قبل بلادي الحزينه
باسم أراملها وشيوخها وأطفالها
كي تعطوني بطاقة مجانية إلى السماء
ففي راحتي بدل النقود . . . «دموع»

لا مكان لي ؟
ضعوني في مؤخرة العربه
على ظهرها
فأنا قروي ومعتادٌ على ذلك ،
لن أؤذي نجمه
ولن أسيء إلى سحابه
كل ما أريده هو الوصول
بأقصى سرعة إلى السماء
لأضع السوط في قبضة الله
لعله يحترقنا على الثوره .

الهدى لشاكر السياب

يا زميل الحرمان والتسكع
حزني طويلٌ كشجر الحور
لأنني لست ممدّداً إلى جوارك
ولكنني قد أحلُّ ضيفاً عليك
في أية لحظة
موشحاً بكفني الأبيض كالنساء المغربيات

لا تضع سراجاً على قبرك
سأهتدي إليه
كما يهتدي السكّير إلى زجاجته
والرضيعُ إلى ثديه
« فعندما ترفع قبضتك في الليل
وتقرعُ هذا الباب أو ذاك
وأنت تحملُ دفترَ عتيقاً
نُزغ غلافه كجناح الطائر
وأنت تسترجعُ في ذاكرتك المتعبه
هذه الجملة أو تلك

لتقصّها على أحبابك حول المصطفى
ثم تسمع صوتاً يصرخ من أعماق الليل ،
لا أحد في البيت
لا أحد في الطريق
لا أحد في العالم
ثم تلوي عنقك وتمضي
بين وحول آسنه
وأبواب أغلقت بقوة
حتى تساقط الكلس عن جدرانها
وأنت واثق أن المستقبل
يفص بآلاف الليالي الموحشه
والأصوات التي تصرخ
لا أحد في البيت
لا أحد في الطريق
لا أحد في العالم
هل تضع ملاءة سوداء
على شارات المرور وتناديها يا أمي
هل ترسم على غلب التبغ الفارغه
أشجاراً وأنهاراً وأطفالاً سعداء
وتناديها يا وطني
ولكن أيّ وطن هذا الذي
يجرفه الكناسون مع القمامات في آخر الليل ؟
تشبّث بموتك أيها المغفل

دافع عنه بالحجارة والأسنان والمخالب
فما الذي تريد أن تراه ؟
كُتِبَ عليك تباع على الأرصفه
وعكازك أصبح بيد الوطن

أيها الثَّعْسُ في حياته وفي موته
قبرك البطيء كالسلفاة
لن يبلغ الجنة أبداً
الجنة للعدائين وراكبي الدراجات .

المهذبة في عصر وحشي

كالزنجي النائم ورمحه بيده
أمكث في هذه الأدغال الحجرية
بانتظار شيء ما
فهل أجدُ في غاباتِ روحك العذراء
غصناً متواضعاً
لطانر جريح اسمه . . . قلبي ؟
سأكسوك بالقُبَلِ كالأضرحة
كالشجرة في الربيع
وبين كل قبلة وقبلة
سأنظر شاكراً وممتناً إلى السماء
كعصفورٍ ظمآنٍ يشربُ من آنيه .
سأدفنُ وجهي بين نهديك الخنونين
وأصرخُ كبدوي ينادي قبيلته
أيتها الحمامة التي تزورني
وجناحها معقودان كشریطة المدرسه
كفاك تحديقاً في راحتي

بحثاً عن خطوط العمر والحظ والمستقبل
لقد أمّحتُ كُلُّها من حمل الحقائق
وشد القلوع في . . «الأحلام»
وعبثاً تتقصين أسرار حزني
من اضبارتي المدرسية
أورفاقي في المقهى
فحزني لا حسب له ولا نسب
كالأرصفه
كجنين وُلِدَ في مبقى

رسالة إلى القرية

مع تغريد البلابل وزقزقة العصافير
أناشدك الله يا أبي :
دع جمع الخطب والمعلومات عني
وتعالَ لَمَلَمْ حطامي من الشوارع
قبل أن تطمّرني الريح
أو يبعثرنى الكناسون
هذا القلم سيوردني حتفي
لم يترك سجنًا إلا وقادني إليه
ولا رصيفًا إلا ومرّغني عليه
وأنا أتبعه كالمأخوذ
كالسائر في حلمه

في المساء يا أبي
مساء دمشق البارد والموحش كأعماق المحيطات
حيث هذا يبحثُ عن حانه
وذاك عن مأوى
أبحث أنا عن « كلمة »

عن حرف أضعُهُ إزاء حرف
مثلَ قِطٍّ عجوز
يشبُّ من جدار إلى جدار في قرية مهده
ويموء بحثاً عن قطته
ولكن . . أو تظنني سعيداً يا أبي ؟
أبدأ

لقد حاولت مراراً وتكراراً
أن أنفصَ هذا القلم من الحبر
كما يُنْفَصُ الخنجر من الدّم
وأرحل عن هذه المدينة
ولو على صهوة جدار
ولكنني فشلت

ان قلّمي يشمُّ رائحة الحبر
كما يشمُّ الذّكر رائحة الأنثى
ما ان يرى صفحة بيضاء
حتى يتوقّف مرتعشاً
كاللص أمام نافذة مفتوحة
أنام

ولا شيء غير جلدي على الفراش
جمجمتي في السجون
قدماي في الأزقة
يدي في الأعشاش
كسمكة « سانتياغو » الضخمة

لم يبقَ مني غير الأضلاع وتجاويف العيون
فاقتلعتني من ذاكرتك
وعُدْ إلى محرائك وأغانيك الحزينة
لقد تورطتُ يا أبي
وغدا كلُّ شيءٍ مستحيلاً
كوقفِ التزييف بالأصابع .

شّاء

كالذئاب في المواسم القاحله
كنا ننبئُ في كل مكان
نحبُّ المطر
ونعبدُ الخريف
حتى فكرنا ذات يوم
أن تبعث برسالة شكر إلى السماء
ونلصق عليها
بدل الطابع . . ورقة خريف
كنا نؤمن بأن الجبال زائله
والبحار زائله
والحضارات زائله
أما الحب فباق . .
وفجأة : افترقنا
هي تحبُّ الارائك الطويله
وأنا أحبُّ السفن الطويله
هي تعشق الهمس والتنهديات في المقاهي
وأنا أعشق القفز والصراخ في الشوارع

ومع ذلك . .
فدراعاي على امتداد الكون
بانتظارها . . .

الغاية

مغريةً كلماتُ الوداع
مغرية . . مغرية كزجاجة السم
في راحة القائد المنهزم
ولكنها قاضيةٌ يا حبيبي
إنها تضربُ رأسي
كما تضربُ الحيممُ جدار البركان
أقول دَهَبَتْ
فلتذهب
ليست أكثرَ خلوداً من المذابح والحضارات
ولكن
كلما حُزمتُ أمتعتي وحاولت الفرار
يقبضُ عليَّ حبُّكَ كذراع الميت
كالستائرِ الغامضة في أفلام الرعب .

من أغلق كل هذه الأبواب والتوافذ
وترك دمي وحيداً في العراء
ينبح كجروٍ أحمرٍ في أزقة العروق البشرية ؟

أنت .
من كسى جلدك بالقبيلات
وزيّته كالستانر الأندلسية
بالشعر والدموع وطعنات السياط ؟
أنا .
أنا وأنت يا حبيبتى
خطّايان مقروران في غابة بانسة
كل منهما يحمل فأساً قاطعه
كحد السيف
ويهوي عليها شجرة بعد شجرة
وغصناً بعد غصن
دون أن ندري
أن هذه الغاية هي . . « حينا » .

الفائض البشري

أنا الذي لم أقتل حتى الآن
في الحروب أو الزلازل أو حوادث الطرق
ماذا أفعل بحياتي ؟
بتلك السنوات المتماوجة أمامي
كالبحر أمام البجعه ؟
بعد أن ذهبت زهرة كلماتي
على الرسائل وطلبات الاسترحام
ورُسم مستقبلي
كما تُرسم البطة على لوح المدرسه
هل أعبرُ عن أحلامي
بالهمس والتمس كالمكفوف ؟
أم أتركها تسيل على جوانب رأسي
كصمغ الأشجار الاستوائي ؟
أيتها النواقد
قليلاً من هواء الغابات
انني أختنق
ورثاي جاحظتان خارج صدري

كفَيْتِي الْيَتِيمَ
وصوتي ضالٌّ كالرعد
لا يعرف أجيالاً مقبلة ينشدها
ولا فماً قديماً يعود إليه .
أيها البناؤون ادموني بحجر
إنني أتصدع
كالجدران التي خالطها الغشّ
أنهار
كالقمم الثلجية تحت شمس الربيع
آه
لو يتمُّ تبادلُ الأوطان
كالراقصاتِ في الملهى .

حتى الأغصان ترتجف

كالغريبانِ المولية الأدبار
سأصرخ يا حبيبتني
إذا لم تعطيني سراجك في الليل
وذراعك في الشيخوخه
وسريرك في الزمهرير
ولقممك في المجاعات

سأحشو مسدسي بالدمع
وأملأ وطني بالصراخ
إذا لم تعطيني جناحاً وعاصفه
لأمضي
وعكازاً من السنونو
لأعود
حتى الأغصان العالية ترتجف
عندما أنظر إليها وأبكي

آه لو أن الأيام المتواليه
تنال من روحي وأصابني وعيني
ما تناله السكين من الثمره
والخريف من الأغصان
لأمسي طفلاً صغيراً بطول المدفاه
لأحرق العالم
وأصنع من رماده
كفنّاً لدراجة صغيره أعرفها
مزماراً حزيناً لوطن قديم أعبدّه
ثلاثين عاماً
لم أهرّ دميّه
لم ينهرني جدّ
لم أتشبّه بملاءه
لم أيك في زقاق
ثلاثين عاماً
لم أرّ علم بلادي مبلاً بالمطر
وأنا أنفخ راحتي في الزمهرير
وأغني : موطني . . . موطني . . .

بكاء السنونو

إلى : ٥.٢

يا من طعنتماني في الظهر
وأنا مكبُّ على أوراقِي
كالشيخ فوق سجاده
الذنبُ والأفعى لن يكونا أبداً
حمامتين تحت المطر
المطر لي
المطر والرعد والرياح والشوارع
هي ملكي
ومعي وثيقة من السماء بذلك
أحقاً سرتما تحت المطر
وعلى أرصفتي وفي شوارعِي ؟
إذن لن أحبَّ المطر بعد اليوم
لا المطر ولا الريح ، ولا القمر ولا الصخور
سأحب شعبي . . .
يا شعبي احتضني
أنت الأب الحكيم
وأنا الطفل الضالّ

أنت السيلُ الجارف
وأنا الكوخُ المتداعي
أعطني فرصة أخيرة وانتظر
سأحبُّ عمالك وفلاحيك
سأعترُ حتى ببغاياك وأوحالك
وأطلي بها جبينني كالهندي المحارب
سأقف جامداً كالتمثال عند تحية العلم
وأصرخ كالمجنون في المظاهرات
ولكن لا تقسُ عليَّ يا شعبي
هجرْتُك لأنك هجرتني
تجاهلْتُك لأنك تجاهلتني
ولكنني أقسم بكل جليلٍ ومحرمٍ
ما نسيْتُك في يوم من الأيام
وأنا غارق في الهموم والنقاشات
عن السأم والأزياء الفاضحة
كنت أفكرُ بخرافك الهزيله
ومرضاك المكدرين في الممرات .
وأنا أشعل اللقائف للمدعوين
وأفقهه ساخرأ في الحفلات
كنت أفكر بقراك الموحله
وعجائزك المترنحات على ضوء القناديل
هيا . .
كلانا أساء للآخر
لنجرخ أصابعنا كيفما اتفق

وليشرب كلُّ منا قطرةً من دم الآخر
ولنتأخى
لنخلط دموعنا وهمومنا كالتقود المسروقه
ولنمضِ وحيدين
ضدّ الزمن ضد العاصفة
والندوب تتحرك على جباهنا
كعقارب الساعات . . .

العضبة

لا تصفغني أيها القدر
على وجهي أمتاراً من الصفعات
ها أنا

والريح تعصف في الشوارع
أخرج من الكتب والحانات والقواميس
خروج الأسرى من الخنادق .

أيها العصرُ الحقيِر كالخشِرة
يا من أغريتني بالمروحة بدل العواصف
وبالثقاب بدل البراكين
لن أغفر لك أبداً

سأعود إلى قريتي ولو سيراً على الأقدام
لأنثر حولك الشائعات فور وصولي
وأرقي على الأعشاب وضاف السواقي
كالفارس بعد معركةٍ منهكة
بل كما تعبر الكلابُ المدرّبة حلقاتِ النار
سأعبرُ هذه الأبواب والنوافذ

هذه الأكمام والياقات
محلّقاً كالنسر
فوق خفر العذارى وآلام العمال
باسطاً جناحي كالسنونو عند الأصيل
بحثاً عن أرض عذراء
كلما لامسها كوخٌ أو قصر
أميراً أو متسول
وثبتت جامحةً في الهواء
كالفرس الوحشية إذا مسّها السرج .
أرض ،
لم توجد ولن توجد إلا في دفاتري .
حسناً أيها العصر
لقد هزمتني
ولكنني لا أجد في كل هذا الشرق
مكاناً مرتفعاً
أنصبّ عليه راية استسلامي .

ذكرى حادث اليوم لبقه

فيما كنت أتسكع تحت الأشجار المزهرة
مع مذكراتي وغلبيوني
كبطلي عجوز يترئض في منقاه
لمحتهم يهرولون في العواصف الثلجيه
نصفهم معاطف
ونصفهم عبااءات
يرشقون الوحل بنعالهم كالرصاص
وكل منهم يشبك أصابعه فوق رأسه
ويصرخ :
النجدة . . النجدة
أنا دفتر
أنا ثائر
أنا كاتب عدل
أنا هاتف
أنا ساعي بريد
وأنا أجثم على جدران المدينه
كسلّم الحريق

وسيفي مغروس حتى قبضته
في نخاع الباستيل .

مروحة السيوف

في المدن يستعملون المراوحَ والمرطبات
أما في الصحراء ، فماذا يفعلون
غير انتظار العاصفة ؟
ولكن أين العاصفة ؟
لا القلوغُ البيضاء تعرف
ولا الراياتُ الذابلةُ على التلال
أن العاصفةَ هناك
متردة وراء الأفق البعيد
كالبغي أمام عتبة الفندق
والنسرُ العجوز
آخرُ نسرٍ في التاريخ
ينتظرها وحيداً وصامتاً كالخوذي
امض إليها أيها النسر العجوز
وكفك تذوقاً
لفضلاتِ السُّحُب والعواصف الغابرة
كالطاهي القديم
فالعاصفةُ قد لا تنهي زينتها قبل أجيال

ولكن كيف يمضي إليها
ومنقاره مهترئ كإبهام الحذاء
كيف يسرع
وهو يترنح كدراجة تعبر النهر .

عاماً بعد عام
والريش الأبيض يتسحُّ على صدره
كقُوط الحدم
جيلاً بعد جيل
والنسيمات الصغيرة تدفعه
من صخرة إلى صخرة
ومن سهل إلى آخر
وهو مشيحٌ عنها ، مستسلم لها
كجفيٍّ في معسكر
انه يحنُّ إلى معركةٍ أخيره
مع القدر
مع العاصفة
مع « ذبابة »
بهذه المخالب المتأكله
والمنتقار الذي كاد يستقيم
من كثرة ما ضربه على الصخور
في ساعات الذكرى ؛
فيما مضى

كان يفتلُ جناحيه كالأبّ الشرقي
يفتحهما كالأكمام الريفية المطرزه
ويهيّم فوق المدن والقارات
بينما السُحُبُ والعصاير الصغيره
تركض وراءه لاهثّة
كالغوغاء في مواكب الملوك .
فيما مضى
فيما مضى
أما الآن
فلا شيء
غير الأسى والذكريات .

كنس الغبار بجناحيه المتعبين
وربضَ تحت العوسجِ الذابل
كقاطع الطريق
موقناً أن العاصفة ستأتي
وأن أسنانها الغازية
سوف تلمعُ عما قريب
كأضواء السُفن ومشاعل الثورات
وقد صمّم على المعركة
بكل هزله وأنقاذه
حيث الصحراء مقفره
والمعركة بلا هتاف أو شهود

وطال انتظاره في الهجير
وفيما هو يكبو رويداً رويداً
كمسافر عجوز على طريق وعرة
ومخالبه تسيل كالخلوى الرخصة على الرمال
مرّت به نسمةٌ باردة كالينبوع
فتنهّد منتشياً
كالمرهق وقد مسّته امرأة
وتابع الرقاد من جديد . .
تحت شمسٍ لاهبة
وعزلةٍ طويلة كالدهر .
وفجأةً أظلم الأفق
وتمايلت العوسجة
وارتفع الذيلُ المتسخ بالعرق والدم
وانطلق الذبابُ الدفينُ في الجراح
مدوّماً لا يلوي على شيء
فانتفض قلبه من الفرح
وأخذ يقفزُ هنا وهناك
كخروفٍ يسعى لملاقاة أمه
العائدة من المرعى
لقد أقبلت :
سريعة ومدوّمة كراقصةٍ على الجليد
قطار أحول من الطعنات
ينشد كبد الأرض للمرة الأولى

فليستفد من كل حبة رمل
وضربة مخلب
وليخرج من المعركة منتفخاً
فالعاصفة كالخصباء . . . كموسيقى النصر
تأتي مرّة واحدة ولا تعود
والنسر بلا قمة أو عاصفه
كالعروس بلا أقراط أو دموع .

فتح منقاره خلسة كصيّاد الفراشات
وترجع بحذر واحترام
كتلميذ أمام أستاذه القديم
. . . وأنشبه في العاصفه
في الرمال . . . في الدماء . . . في المسارح
في القبلات المذعوره
والخواتم التي تحمل شعر السلاميات ،
في اللاشيء
وراح يدور كالمنزل وسط ريشه الممزق
وصيحائه المدويّة كطلقات الرصاص
كتلّة من الدم والأبّه
تحاضر من وراء طاولة الصحراء
في فنّ العطش وتمزيق الأوصال
في الحلم الذي أتاه على طبق من الهجير
خانقاً وحنوناً كالقبلات

وقد آن لأجمل أسير في التاريخ
أن يزدرد خزره الأحمر خارج الأقفاص
أن يضع السلالم على كتف العاصفه
ويقطع ثمار حزنه كالبيستاني

ولكن العاصفه كانت تهزُّ كتفيها
كالراقصة الشرقيه
تتمنّع عليه كالومس المحترفه
أمام مراهق غرّ
حتى إذا ما سنحت لها الفرصه
فتحت باب الأفق . .
وولّت الأدبار
فجئ جنونه
وراح يشبُّ كالهرّ
كطفل مذعور يحاول عبثاً
بلوغ مطرقة الباب
وهو يرى كل شيء ينحني ويميل
الشمس والرمال والجراح
والأفق إلى جواره مجوّف ومقزز
كالرحم بعد الولادة
ولحق بها مرغياً مزبداً
كسكير يحاول اقتحام الحانه
بعد أن طرد منها مئات المرات

ولكن دون جدوى
لقد أسدلت العاصفة ستائرهما
وأغلقت سجل الزوار
وهنا بكى النسр العجوز
ورفع مخالبه كالأصابع المتضرعه
وراح ينتحب كالأطفال .
وبعد آلاف الأميال
وبعد كل ذلك الزهو والبطش الجارف
هَوَّتِ العاصفةُ على شاطئ البحر
ووجهها ممزق كوجه الملاك
لقد أقفر الصدر من النهود والأوسم
وجُرِّدَتِ العروسُ من الخواصم والمرايا
واتكأتْ على الصخور
كسكّيرٍ أمام مفسله
لقد كان في أعماقها ألمٌ مميت
أظافرٌ صغيرةٌ وصيحاتٌ حاده
أخذتْ تنبُعُ كالتمل
من ثقبِ الأنفِ والأذنينِ والبلعوم
لترقصَ كالغجر
على ظهرها المقوس والرهيب كالجسر

من أين ينبُعُ هذا الألم ؟
هذه الطعناتُ المشتعلةُ كنيران الأعراس

من غطى كفلها البربري
بهذه الجراح الغزيرة والندية كأهداب العاشق ؟
وفيما هي تكبو رويداً رويداً
كمذنب يعترف بكل شيء
تذكّرت أن ثمة جداً قديماً
لكلّ هذه الجراح والآلام
كان ينبش أعماقها كالكنز
ثمة شيء صغير كالبرغوث
قاوم وناضل حتى الموت
ولابد أن كلّ هذه الآلام القاتلة
وهذا الريش والصيحات المتراكمة
على فوهات الجراح
من ذلك الشيء الصغير كالبرغوث
وفجأة انطرح العاصف على قفاها
كخيمة كبيرة بحجم العالم
ثم تقلّصت بحجم المنديل وماتت
ودموعها تسيل على هيئة نسر .

الفهرس

٥	حزن في ضوء القمر
٧	طفولة بريئة وإرهاب مسن
١١	حزن في ضوء القمر
١٦	جنازة النسر
١٨	أغنية لباب توما
٢٠	في المينى
٢٣	المسافر
٢٦	الشتاء الضائع
٢٩	رجل على الرصيف
٣٢	تبغ وشوارع
٣٤	جفاف النهار
٣٧	الغرياء
٣٩	الخطوات الذهبية
٤٢	جناح الكآبة
٤٣	الرجل الميت
٤٨	الليل والأزهار
٥٠	حريق الكلعات
٥٤	وداع الموج
٥٦	سرير تحت المطر
٥٨	القتل
٧٣	غرفة بلايين المجدران
٧٥	أوراق الحريف
٧٩	نجوم وأمطار
٨٤	خيانة
٨٧	الرجل المائل
٩١	منزل قرب البحر
٩٦	مصافحة في أيار
١٠٠	بكاء في رحلة صيد
١٠٥	اصفرار العشب
١٠٨	مقهى في بيروت
١١٣	الرعب والجنس
١١٦	الصديقان
١٢٠	الأعداء
١٢٥	وجه بين حداثتين
١٢٩	هياج القار
١٣١	إلى عتبة بيت مجهول
١٣٦	النار والجليد

١٣٨	الدموع
١٤٢	أربع عيون متممضة
١٤٥	بكاء الثمان
١٤٩	سمااء الحبر الجرداء
١٥١	في يوم غائم
١٥٤	النسور العالية تفترق بغضب
١٥٧	الفرح ليس مهتني
١٥٩	من العتبة إلى السماء
١٦١	حلم
١٦٣	الفجري المملب
١٦٥	خريف الأفتنة
١٦٧	سلمية
١٦٩	الحصار
١٧٠	المصنف الهجري
١٧٢	بدوي يبحث عن بلاد بدوية
١٧٤	أمير من المطر وحاشية من النبار
١٨٣	الظل والهجير
١٨٥	خوف ساعي البريد
١٨٧	أيها السائح
١٨٩	واجبات منزلية
١٩١	بعد تمكيز طويل
١٩٣	كل الميرون نحو الأفق
١٩٥	في الليل
١٩٧	اليتيم
١٩٩	الوشم
٢٠١	النحاس
٢٠٤	الخوف
٢٠٧	مسافر عربي في محطات الفضاء
٢٠٨	إلى بدر شاكر السياب
٢١١	المهذبة في عصر وحشي
٢١٣	رسالة إلى القرية
٢١٦	شتاء
٢١٨	الغاية
٢٢٠	الفانفس البشري
٢٢٢	حتى الأغصان ترتجف
٢٢٤	بكاء السنونو
٢٢٧	الهضبة
٢٢٩	ذكرى حادث أليم لم يقع
٢٣١	مروحة السيوف

الإعجاز الشعري



يعتبر محمد الماغوط من أبرز الشوار الذين
حرروا الشعر من عبودية الشكل. دخل
ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودقاته
الأنيقة بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر
وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر
الحديث. كانت الرياح تهب حارة في ساحة
الصراع، والصحف غارقة بدموع الباكين
على مصير الشعر حين نشر قلوبه البيضاء
الخفاقة فوق أعلى الصواري. وقد لعبت
بدائيته دوراً هاماً في خلق هذا النوع من
الشعر، إذ إن موهبته التي لعبت دورها
بأصالة وحرية كانت في منجاة من حضارة
التراث وزجره التربوي. وهكذا نجت
عفويته من التحجر والجمود. وكان ذلك
فضيلة من الفضائل النادرة في هذا العصر .
سنية صالح

